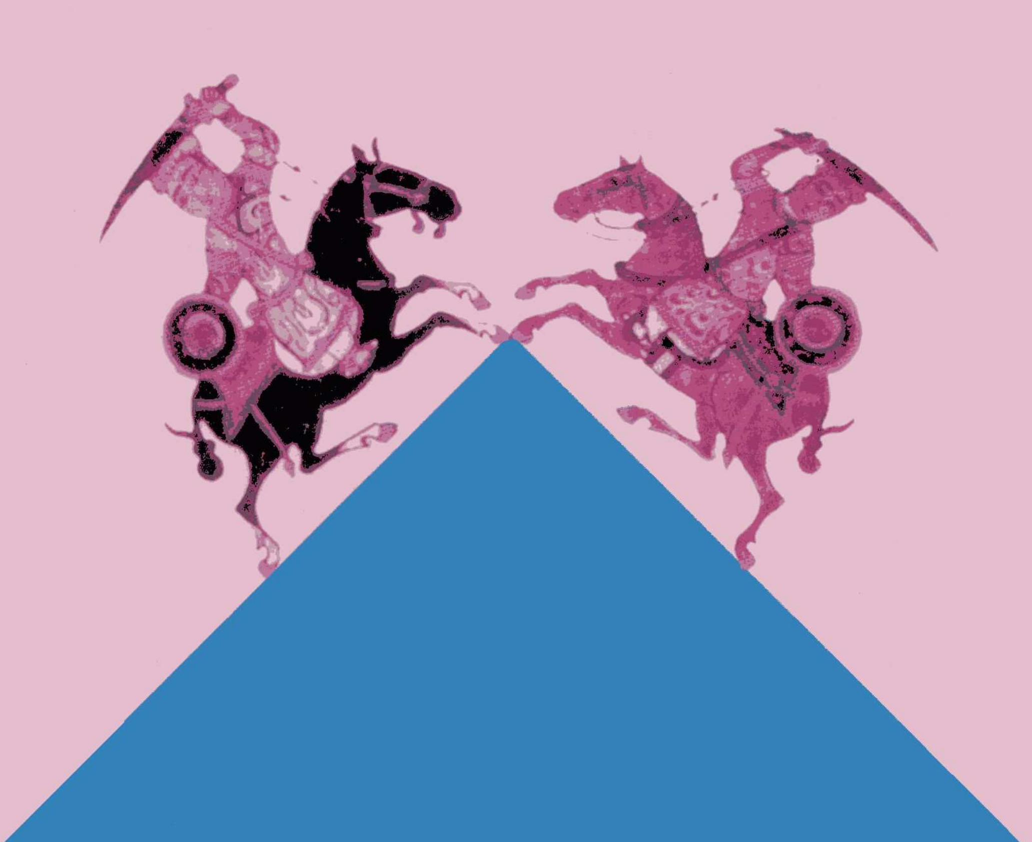
د. فرج فودة

نكون أو لا نكون



نكون أو لانكون

دكتور
فرج فودة

نكون أو لانكون

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والإسكندرية

الغلاف للفنان خلف طايع

الطبعـة الأولـى ١٩٨٨
الطبعة الثـانية ٢٠٠٤

مقدمة

هذه مجموعة من المقالات ، لكل مقال منها قصة . والقصة ضرورية أحيانا لفهم المقال ومعايشته . وأغلب هذه القصص لطيف، بينما أغلب المقالات عنيف . لأنها كُتبت بأعصاب مشتعلة، ونُحتت من الوجدان ، وصدقت في مشاعرها إلى أقصى الحدود . وقد أكتشفت عنفها حين أجتمعت معاً ، وأندهشت لذلك كثيراً . لأني في حياتي الخاصة ومع أصدقائي ، شديد الوداعة والطيبة ، على العكس تماماً من طبيعتي حين أشعر أن هناك ما يُهدد ذلك الذي أحيا من أجله ، وأستمد وجودي من وجوده ، وأدافع عنه حتى آخر نفس، وهو الوطن ..

الغريب أن ذلك القدر من العنف لم يكن أكتشافي الوحيد ، حين أجتمعت هذه المقالات أمامي لأول مرة . وإنما كان هناك أكتشاف آخر، هو أنني في هذه المرة ، أو بمعنى أدق في هذه المقالات ، لا أرد سهاماً ، ولا أصد هجوماً . بل أبادر وأبدأ وأشتد ، على العكس من أغلب مقالاتي في كتابي السابق " حوار حول العلمانية " التي كانت رد فعل لهجوم الآخرين ..

ربما كان غريبا أن يتحدث الكاتب عن انطباعاته بالنسبة لكتابه إلى القراء . لكن لا بأس ، فما أكثر ما خرجنا على المألوف عامدين، وما أكثر ما أصطدمنا بالمألوف مضطرين . ولا بأس أن استطرد فأذكر للقاريء أنني عند مراجعتي للكتاب ، تذكرت أنطباعاتي منذ عشرين عاماً ، وأنا أقرأ المعارك الفكرية للرواد : علي عبد الرازق، وطه حسين ، والعقاد ، وخالد محمد خالد ، وغيرهم . ووقتها كنت أندهش أحياناً ، وأنزعج أحياناً ، وأسعد دائماً ، وأتساءل بإستمرار عن سبب عُقم زماننا . وها أنذا أقارن بين معاركهم ومعاركنا ، وتتوارد إلى ذهني كتابات رواد التنوير في عصرنا : المستشار سعيد العشماوي ، والدكتور فؤاد زكريا ، والسفير حسين أمين ، والدكتورة نوال السعداوي، والدكتور لويس عوض ، والدكتور صبحي منصور، والدكتور عبد العظيم رمضان، والأستاذ خليل عبد الكريم، والدكتور سيد القمني ، والدكتور نور فرحات ، والأستاذ مكرم محمد أحمد، والأستاذ أحمد بهاء الدين، والأستاذ صلاح حافظ، والأستاذ محمود السعدني ، والدكتور رفعت السعيد ، والشاعر أحمد عبد المعطي حجازي ، وأخيراً ما كتبه صاحب هذا القلم . وأجزم أن ما كتبه هؤلاء في السنوات الأخيرة، هو أجرأ ما كُتب في تاريخ اللغة العربية ، وأكثره وعياً وأستنارة ، والأهم من ذلك أكثره شجاعة ومقدرة ..

إن ما أسجله في هذا الكتاب شديد الأهمية في تقديري ، لأنه يعكس واقع المعارك الفكرية التي نعيشها . وهو سجل هام للأجيال

القادمة ، أكثر بكثير من أهميته لجيلنا . لأنه وثيقة شرف لجيل أبائهم . ولعلهم لن يصدقوا أننا كتبناه ونحن غارقون في أتهامات التكفير ، ومحاطون بسيوف الإرهاب والتهديد . ويقينا سوف يكتب البعض من الأجيال القادمة ما هو أجرأ ، وأكثر أستنارة . لكنه سوف يصدر في مناخ آخر ، أكثر حرية وأنطلاقا وتفتحا . ولعله من حقنا عليهم أن نذكرهم أنهم مدينون لنا بهذا المناخ . وسوف يكتشفون عندما يقلبون أوراقنا ونحن ذكرى ، أننا دفعنا الثمن ..

ويا أيها القاريء بعد زمان طويل، اقرأ لنا، وتعلم كيف يكون الإنسان موقفاً . وكيف نحتنا عصر تنوير جديد بأقلامنا . وكيف كانت الكلمات أقوى من الطلقات . وأفهم معنا ما فهمناه من حكمة الله العلي القدير ، حين شاء أن تكون أولى كلماته في الإنجيل " في البدء كانت الكلمة " ، وفي القرآن " اقرأ " ..

أيها القاريء بعد زمان طويل .. اقرأ ..

ف . ف

وردة وخلط الأوراق

قصة المقال: كنت جالسا (في حالي) أمام التليفزيون، أمني نفسي بليلة طيبة أشاهد فيها تنافسا رياضيا ممتعا على نهائي كأس أفريقـيا لبطولة أندية كرة السلة ، بين الإتحاد السـكندري ممثلا لمصر ، وناد آخر يُمثل أنجولا . وفجاة رأيت (شيئا) يجري بـين اللاعبـين ، لا علاقة له بزيهم أو مظهرهم . وفركت عيني لكي أتحقق مما أرى . كان مدحت وردة كابتن الفريق المصري، وقد أطلق لحيته، وكحل عينيه ، ولبس لباسا طويلاً لا علاقة له بالشورت لأنه أطول ، ولا بالبنطلون لأنه أقصر . وأدركت من مظهره وتعليقات المذيع ، أن الإسلام العظيم مُقحـم في الموضوع بلا مقتضى . وأن هناك من أوهم مدحت بـأن فخذه (عورة) وأن واجبه أن يحمي الجمهور من (الفتنة) . وبـعد وقتين إضافيين ، أنتصر الأتحاد ، ولم تدم سعادتي أكثر من لحظات قصار ، أفسدها مدحت بعد ذلك حين تقدم لاسـتلام الكأس ، فرفض رفعه إلى أعلى ، ورفع المصحف بديلاً عنه ، بينما المذيع يصرخ : لا إله إلا الله ، الله أكبر . وهكذا تحولت ساحة الرياضة إلى ساحـة تعصب مقيت ، وأنتظرت في صحـف الأيام التالية أن أجد لوماً أو أعتراضاً أو أمتعاضاً ، فإذا بـها جميعا تتجاهل أو تؤيد . فكان هذا المقال الذي نشره المصور ..

المقال : وردة وخلط الأوراق *

معظم النار من مستصغر الشرر كما يقولون ، وكثير من الظواهر التي نشهدها وننكرها اليوم ، بدأت بتصرفات فردية محدودة . أهملناها فنمت . وهون البعض من شأنها فزادت . وزايد البعض عليها فانتشرت . ومن هذا المنطلق أخترت أن أعلق على زي مدحت وردة في بطولة أفريقيا لأندية السلة . وأحترت في وصف الجزء الأسفل من الزي ، فلا هو (شورت) لأنه ينسدل إلى أسفل الركبتين، ولا هو (بنطلون) لأنه يعلو كثيراً عن الكعبين ، والأدق إلى أن نجد تسمية ملائمة ، أن نسميه (بين بين) . غير أن ذلك قد يُغضب بعض الكتاب ، مثل الأستاذ أحمد بهجت الذي أسماه زياً رياضياً إسلامياً ، وأعتبره نموذجاً للزي النابع من تراثنا وديننا. أما كونه زياً رياضياً ، فأمر ينكره العرف . وأما كونه زياً إسلامياً ، فأمر لا سند له في الفقه الإسلامي كما سُنثبت. اللهم إلا إذا كان منهج الإسلام هو العسر حين نملك اليسر ، والتضييق والتشدد حيث توجد الإباحة ، بل حيث تجدر الإباحة .

ربما تملل البعض بعد هذه المقدمة ، وربما تصوروا أنني أعترض لمجرد الأعتراض ، وأنقد ما يستوجب الإشادة . غير أني أدعوهم إلى تأجيل الأحكام إلى نهاية المقال . وإلى الإقبال بقلب مؤمن وعقل مفتوح، على ما أسوقه إليهم من حجج تستند إلى

* نشر في مجلة المصور ، بتاريخ ٣ يوليو ١٩٨٧ .

المنطق والعرف والفقه .

أما المنطق فأحسب أنه يدعونا إلى تساؤل ، عن الفرق الرياضية في المملكة العربية السعودية ، التي لا يجرؤ نظام الحكم فيها على المخالفة العلنية لنص شرعي أو فقه مُجمع عليه . بيد أنه يسمح للاعبي كرة القدم وغيرهم بارتداء الشورت القصير دون حرج أو إنكار . وبديهي أن هذه القضية قد قُتلت لديهم بحثاً ، وأنهم وجدوا ما يستندون إليه في القبول ، أو لم يجدوا ما يستندون إليه في الرفض . ولعلنا ونحن مازلنا خارج ساحة الفقه ، نرى أن الفرق بين الشورت المتعارف عليه، والبين بين الذي يرتديه وردة ، ينحصر فيما يكشف عنه الأول ، ويحجبه الأخير ، وما يُطلق عليه لغوياً أسم الفخذ (وهو ما يصل بين الساق والورك – راجع لسان العرب ص ٣٣٦١ – طبعة دار المعارف) . وأن البعض يرى أنه عورة ، وأنه على ذلك أجمع السلف الصالح (وسوف نرى أن ذلك ليس صحيحاً). ولو جاريناهم في تصورهم ، لوجب علينا أن نُنبههم إلى أن التحريم لابد وأن يرتبط بسبب . ولعلهم يردون علينا بأن السبب كامن فيما يُثيره الفخذ من فتنة ، وما يدفع إليه من إثارة . وهو أمر لو صح في عهد السلف ، فإنه لا يصح في عصرنا ، حيث لا نرى ما رآه السلف الأول . وحيث يكر اللاعبون ويفرون ، دون أن ينبض لنا عرق ، أو يهش لنا فؤاد ، أو يفكه لنا قلب ، أو تتدغدغ لنا روح . ولا نحسب أن أحداً مدح لاعباً بسمنة فخذه ، أو عيَّره بنحولها . ولا نعتقد أن أحداً يُمكنه أن يدعي أن اللاعب يكوينا بسهام الهوى إن كر ، أو يُدمينا

بنار الجوى إن فر . وحتى لو إستدل البعض بأدلة (سوف نرى مدى ضعفها) ، على أن ذلك سنة، فلنا أن نحمل ذلك على محمل السنة في أمر الزي والعلاج . حيث يرى أغلب الفقهاء أن الرسول كان يتأسى فيهما بعصره ، وأن ذلك لا يُلزم من يأتي بعده في عصر غير العصر ، وزمان غير الزمان ..

هذا عن المنطق ، فماذا عن العرف ؟.

أحسب أن العرف الدولي قد أستقر على زي موحد ، وأننا لا يمكن أن نعزل أنفسنا عن اللقاءات الرياضية الدولية . وأنه ليس منطقياً ، وليس مقبولاً ، أن يلعب الجميع بالشورت ، ونلعب نحن بالبين بين . أو أن تصبح مبارياتنا مع الفرق الأجنبية ساحة لعرض أزيائنا الغريبة ، ومعرضاً لتساؤل المتفرجين عن ذلك الذي نخفيه . ولو رددنا عليهم بخشية الإثارة ، أو خوف الفتنة ، لظنوا الظنون بجمهورنا الطيب ، وتصوروا أن اللاعبين يحتمّون بهذا الزي من نظرات الجمهور الجريء ، بينما جمهورنا بريء ، وبينما الأمر كله أمر فتوى لا تقف على قدمين ، ولا يساندها إجماع أو ترجيح .

ولا يبقى إلا الفقه ، وهو الفيصل والحكم ، خاصة وأن أنصار الزي الجديد يستندون إليه ويحتمون خلفه . ولعلهم يتصورون أنني حاولت فيما سبق ، أن ألتف حول قاعدة إسلامية . وأنني أتلفت في حديثي عن المنطق والعرف ، ذات اليمين وذات اليسار ، باحثاً عن مخرج فلا أجد . ولعلهم يرددون بينهم وبين أنفسهم : قل ما شئت ، وأستنتج وأستنبط كما تريد ، وأرتع في ساحة القياس كما ترى ،

فردنا عليك يسير ، وموقــفك صعب وعســير . لأنك لن تســتطيع الهروب من نص ، ولن يُمكنك الإفلات من قــاعدة شــرعية ، ولن تتملص من إجماع الفقهاء . ولعلي شديد الأسف إذا خيبــت ظنهم ، وشديد الحــزن إذا ذكرت لهم أنهم لم يرجعوا إلى كتب الفقــه قبــل الإفتاء . وأن ما يُجمعون عليه مختلف فيه ، وأن سندهم في دعواهم أضعف من ســند من يعترضون عليهم . ولو رجعوا إلى أكثر كتب الفقه أنتشاراً، ولعله أيسرها ، وهو كتاب " فقه السنة " للشــيخ ســيد سابــق (ص ١٢٥ - جزء ١ - دار الكتاب العربــي) ، لوجدوا أن "عورة الرجل هي القبل والدبــر . أما ما عداهما من الفخذ والســرة والركبة، فقد أختلفت فيها الأنظار تبعاً لتعارض الآثار . فمن قــائل أنها " ليست من ذاهب إلى أنها عورة ". ولعلي أشير هنا إلى أن تلك القاعدة، خاصة بستر العورة عند الصلاة . بــينما يختلف الأمر في الرياضة ، وتتسع مساحة السماحة وإمكانية الترخيص . بــيد أننا لن نتوسع في التفسير أو القــياس ، وســوف ُنريح المعترضين علينا بالأخذ بأقصى درجات التشدد ، وسوف نسلم معهم بأن ما هو عورة في الصلاة عورة في غيرها ، وسوف نحتكم وإياهم إلى كتاب فقــه السنة ، حيث ورد فيه تحت عنوان "حجة من يرى أنها ليست عورة" أربعة أحاديث ، أوضحها وأقواها سنداً عن أنس : " أن النبــي صلي الله عليه وسلم يوم خيبر، حسر الإزار عن فخذه ، حــتى أني لأنظر إلى بياض فخذه " رواه أحمد والبخاري . ثم ورد بعد ذلك تحت عنوان "حجة من يرى أنها عورة" حديثان متشابهان . أوضحهما وأقــواهما سنداً عن جرهد قال : " مر رسول الله صلى لله عليه وسلم وعلي بــردة وقد أنكشفت فخذي، فقال: غط فخذيك فإن الفخذ عورة ". رواه مالك

وأحمد وأبو داود والترمذي . وقد ذكر الشيخ سيد سابق أن البخاري قد قارن بين حديث أنس (ليست عورة) وبين حـديث جرهد (هي عورة) فقال: حديث أنس أسند ، وحديث جرهد أحوط . أي حـديث أنس المتقدم أصح إسناداً .

هنا يبدو الأمر واضحاً كل الوضوح ، أربعة أحـاديث تنفي أنها عورة ، مقابل حديثين يريانها عورة . وأشهر أسانيد أنها غير عورة حديث أنس ، وقد ورد في أحد الصحيحين . وأشهر أسانيد أنها عورة حديث جرهد ، ولم يرد في أحدهما . والبخاري يكفينا مؤونة الموازنة بيـن الحديثين ، فيحكـم أن حديث أنس أصح إسناداً . ولو لم يفعل البخاري ، لوجدنا في الأختلاف رخصة. لكنه فعل . ودفعنا إلى طرح حجتنا بمنطق المتشددين ، وإلى المطالبة بـالإلتزام بـما يلتزم بـه الأصوليون . وهو الأخذ بالسند الأصح إن أختلفت الرواية .

ولوردة بعد هذا أن يتشدد أو يتحّوط ، لكن ليس لأحد أن يتشـدق بمقولة الزي الرياضي الإسلامي ، أو يزايد على ذلك البـين بـين . مصوراً لنا ، أو متصوراً ، أن هذا هو النموذج ، وأن غيره رجـس وضلال .

ولعل القاريء يسمح لي الآن ، أن أصارحه بـما تحـرجت من ذكره في بداية المقال . وهو أنني أبتسمت اليوم التالي ، لأن الصحف لم تنشر هذه الصورة، ولم تركز عليها. وقد عزت جريدة الشـعب ذلك إلى أن هذا الأمر لم يُعجب المسئولين في البلد المسـلم. ولعلي أحيي المسئولين إذا كانوا قد فعلوا ذلك عن قصد ، وهو ما لا أعتقده .

لأن تصرف وردة ، مع كل حسن النوايا. يحمل خلطاً غير مقصود ، ويُوحي بمعنى غير صحيح. مضمونه أن أنتصار الأتحاد السكندري، أنتصار للإسلام . وهو معنى لو سلمنا به ، لوجب علينا أن نُسلم في المقابل بأن هزيمة الأتحاد السكندري هزيمة للإسلام . وهو ما نرفضه ونأباه . ليس ذلك فحسب ، بل علينا أن نطرح تساؤلاً آخر ، خاصة وأن نتيجة المباراة ظلت معلقة حتى الدقيقة الأخيرة من الوقت الإضافي : ماذا لم فاز الأنجوليون ، ورفع رئيس فريقهم الكتاب المقدس بدلاً من الكأس؟. أجزم بأن أقلامنا كانت ستنتقدهم أشد الأنتقاد ، وستذكرهم بأنها مباراة رياضية ، وليست حرباً دينية . وأنهم فازوا بالجهد، وليس بالكتاب المقدس . وأنتصروا بإجادة فنون كرة السلة، وليس بقراءة المزامير. وأنهم خلطوا الأوراق عن قصد، وحاولوا إشعال فتنة دينية عن عمد، وحولوا ساحة الرياضة المتسامحة إلى ساحة للتعصب المقيت . وأنهم مُبشرون يتخفون في زي كرة السلة . وربما طالب كُتّابنا وزارة الخارجية بالأحتجاج لدى حكومة أنجولا كثيراً عند رؤية وردة الأنجولي في زيه الغريب .

فأبتسامي لم يكن أبتسام سخرية ، حاشا لله ، بل أبتسام تعجب ممن يُغلقون على أنفسهم أبواباً مفتوحة . ويلجأون إلى الضيق وأمامهم الفرج ، وإلى التضييق وأمامهم التسامح ، ويتعسفون في ذلك أشد التعسف ، ويتزيدون غاية التزيد . بينما الأمر لا يحتمل تعسفاً أو تزيداً .

ولو أقتصر الأمر على حديث البين بين ، لما أستحق مني التعليق ، ولأدرجته ضمن الحرية الشخصية لوردة ، ولأحتسبته

تخوفا منه علينا من فتنة يراها ولا يراها . وهو خوف نحمده له في كل حال لكن تصرفا حدث منه في نهاية المباراة لثار في نفسي عديدا من التساولات، إذ تقدم وردة ليتسلم كاس البطولة ، وانتظر الجمهور منه أن يرفع الكأس ، فإذا به يرفع المصحف . ومر الامر ببساطة ويسر . وتداول اللاعبون والجمهور كاس البطولة في فرحة غامرة . لكن جريدة الشعب التي يُصدرها حزب العمل ، لم تترك الامر يمر بهذه البساطة ، خاصة وأن حزب العمل مرتبط بالتحالف الإسلامي . فأعادت نشر صورة وردة وهو يرفع المصحف ، وكتبت عنوانا بالخط العريض نصه " رفع المصحف بدلاً من الكأس ، فحجبوا صو ته وأنهالت تحت العنوان باللائمة والنقد على الصحف الأخرى على هذا التصرف المثير . بل ربما واجه رجال الأمن موقفاً عصيباً، إذا حاولوا حماية الفريق المنافس من غضب الجمهور الثائر أمام تصرف مستفز .

أحسب أن ما ذكرته كافٍ ، بلا تعليق ، للرد على من يرون للحقيقة وجهاً واحداً يُعجبهم ، وينسون أن لها وجهين . وحسبي أن أؤكد أن روح الإسلام تؤيد ما فعلناه ، وما أنتصرنا به ، وهو الجهد والعرق والتدريب . وأنه لا يُغني عن ذلك رفع المصاحف . لأن المصحف ليس شعاراً للتلويح ، وإنما معنى للتدبير . وليصدقني وردة إذا ذكرت له أنني معجب به كل الإعجاب ، كلاعب وليس كواعظ . وكرئيس للفريق وليس كإمام له . وكرياضي كفء وليس كداعية ديني . لا لشيء إلا لأنه قدم نفسه إلينا في الملعب، ليس في المحراب . وأمتعنا بألعابه وليس بمواعظه . ولعلي في النهاية مضطر

إلى دعوة صحيفة الشعب وغيرها الى التروي في إطلاق الأحكام ، وإلى التمهل في ابداء الإعجاب ، والى التحرز عند النحو باللائمة .

ويا وردة ، جزاك الله كل خير على نواياك . وألف مبـروك على جهدك الرائع، وجهد زملائك العظيم. وألف تحية لجمهور الأتحـاد الأصيل. وتهنئة من القلب لمصر ، ولكل المصريين .

لشيخ الأزهر أن يحمد الله

قصة المقال : لا أعتقد أنني كتبت مقالاً أعنف من هذا المقال .

ولا أعتقد أن مشيخة الأزهر في تاريخها، قد تلقت نقداً أعنف من هذا النقد . وما تصورت يوماً أن أتجادل مع رجال الأزهر أو مع شيخه في أمر من الأمور . ذلك لأني رجل سياسة وفكر، وهم رجال دين وعقيدة . ومذهبي أن أفصل بين الساحتين حفاظاً عليهما معاً . بيد أن معركة فكرية ثارت بين الأستاذ فهمي هويدي والمستشار سعيد العشماوي حول كتاب الأخير " الإسلام السياسي " ، أحتد فيها الأستاذ هويدي، وتجاوز بصورة لم نعهدها عنه . وهدأ فيها وأعتدل المستشار العشماوي بصورة نعرفها عنه . وبينما الجدل مُحتدماً، والحوار دائراً ، إذا بالأستاذ هويدي ينشر رسالة مفتوحة من شيخ الأزهر (الشيخ جاد الحق) يوجهها إليه، ويشد فيها على يديه، ويتهم فيها الفريق الآخر (الذي أنتمي إليه بالطبع) ، بالعداء للإسلام ، وبالعمالة للقوى المعادية للإسلام (كذا) . ويتساءل عمن يُسلطهم على الإسلام (كذا) .

وهكذا دخل الرجل ساحة السياسة بقدميه (أقصد بمقاله) . وأمتطى حساماً يُبارز به منتصراً لفريق ، وطاعنا لفريق . ولو

أستقر في موقعه ، لأحاطه الفريقان بالتكريم و الإجلال . ولو بقى في ساحته، ما أصابـــه رذاذ المعركة . لكنه أنتقـــل إلينا ، فألتفتنا إليه . وطعن فينا ، فرددنا عليه . و أتهمنا أسوأ الأتهامات بـــلا دليل ، فكان هذا المقال الذي نشرته جريدة الأهالي .

المقال : لشيخ الأزهر أن يحمد الله *

لشيخ الأزهر أن يحمد الله كثيراً على أن الشريعة ليست مُطبّقـــة في مصر، لأنها لو ُطبقت لاستحق أن يُجلد تعزيراً بتهمة القـــذف . وأغلب الظن أن ذلك كان سيحدث على ملأ . وأن جســـده الرهيف كان سيعجز عن تحمل قسوة الجلاد . فللجسد الإنساني أحكام ، وشـــتان بين الجسد الذي ذاق حلاوة السمن البلدي ، وطراوة الزبد الهولندي . وبين جسد عمر بن الخطاب الذي أسوّد جلده من أكل خبز الشـــعير بالزيت ، أو أجســـاد من كانوا يؤثرون على أنفســـهم ولو كان بـــهم خصاصة . أما جريمة شيخ الأزهر – وهي في شرع الإسلام جريمة بكل المقاييس – فهي قذف بعض خيار المسلمين في خطابه للأستاذ هويدي ، ونعتهم بالخروج على الإسلام ، وبالعمالة للقـــوى المعادية للإســـلام . وهي تهمة لا يملك عليها دليلاً . بـــيد أنها دليل على أنه يستقي معلوماته – كما يستقي العامة – من الصحف الســـيارة ، أو من بعض من يصورون له أن لأقواله المُرسلة أصلاً دينياً أو تأصيلاً فقهياً.

---

* نشر بـــجريدة الأهالي (٢٣ مارس ١٩٨٨) رداً على خطاب شـــيخ الأزهر المنشـــور في الأهرام (١٦ فبراير ١٩٨٨) – راجع ملحق رقم ١ .

لشيخ الأزهر أن يحمد الله أيضاً لأن أحداً لم يتعرض له ، ولم يسأله عن موقع منصبه من صحيح الدين . ذلك الدين القيم ، الذي لا يعرف كهنوتاً ، ولا يُوسط أحداً بين الله وعباده . ولا يُفسح مساحة لرجال الدين . وإنما الساحة فيه واسعة للموعظة بالحسنى . تلك التي لم نجد لها في خطابه تأصيلاً . وللعلم قبل الفتوى . ذلك الذي لم نجد عليه في خطابه دليلاً . ولعله سوف يرد علينا بأننا في هجومنا عليه نهاجم الإسلام ، وهو رد نرفضه من البدء . فالإسلام أعز من أي كائن من كان ، وليس في الإسلام قدسية لأحد ، وبعد عهد الرسول لا عصمة لأحد . إلا إذا كان يتصور أنه ظل الله في أرضه ، أو أنه الإمام المعصوم، أو المهدي المنتظر . وهنا نقول له خفف الوطء ، فإنك لن تخرق الأرض، ولن تبلغ الجبال طولا . وأقصد في هجومك ، وتذكر قول أبي حنيفة حين سأله تلميذه : تُرى هل ما ذكرت هو الصواب الذي لا يأتيه الخطأ ؟. فأجابه والله لا أدري ، لعله الخطأ الذي لا يأتيه الصواب .

آية القول السابق أن أبا حنيفة كان يفهم الإسلام كما يجب أن تفهم أنت الإسلام.. وشتان بين المتواضع الخائف ، وبين المتعالي القاذف. وشتان بين من رفض المناصب الدنيوية جميعاً وعاش من دخل تجارته ، وبين ما نراه عليك من نعمة ونعيم ، وتمجيد وتعظيم . وما ضرنا لو زادت المناصب منصباً ، وما ضرنا أن يعلو بك البروتوكول فوق رؤوسنا ورؤوس المسلمين، وما ضرنا أن تسكن في قصر منيف ، وما ضرنا أن تحصل على مرتبك من أموال دولة

المسلمين؟. تلك التي تنعتها بأنها ربوية . وتصف بعض مصادر دخلها بأنها آثمة، لأنها تأتي من المشروبات الروحية . وما ضرنا أن نسمعك تقرأ في المناسبات الدينية خطبا مكتوبة يملأها نطقك بالأخطاء النحوية؟. ما ضرنا هذا كله ، لكن الضرر كل الضرر ، أن تتصور أنك يمكنك أن تُخيف . وأن بمقدورك أن تمنع كتابا هنا أو تصادر رأيا هناك . وأن تتخيل أن بيدك مفاتيح خزائن الدين . وأن في جعبتك صكوك الغفران ، توزعها كما تشاء . فتغفر لمن تشاء . وتكفر من تشاء . وتُعز من تشاء ، وتُذل من تشاء . وحاشا لله أن يبلغ بك الظن هذا المبلغ من السوء . وحاشا للإسلام أن يصل فهم البعض له إلى هذا الدرك . وليس لك، ولن يكون، أن تتصور للحظة واحدة أنك وحدك حامي حمى العقيدة، والمدافع عن صحيح الإسلام . لأننا جميعا مسلمون ، وكلنا عن العقيدة مدافعون . ورفضنا لتصوراتك جزء من هذا الدفاع ، ورفضنا لأتهاماتك إسلام في إسلام. ذلك أننا نفهم الإسلام على أنه دين العقل، وليس دين الجمود والنقل . ودين السماحة ، وليس دين التطرف . وما كانت محنة المسلمين إلا لأنهم أسلموا قيادهم لمن يفتون بحكم آكل الطين الأرمني، وراشف بزاق الصديق [1] . وحكم معاشرة الجان ، وحكم من كان لقضيبه فرعان ، وأتى امرأة من قبلها ودبرها في آن. وهل يغتسل غسلاً واحداً أم غسلين (فتوى الفقيه البجاوي) .

(١) فتوى شهيرة لمفتي الديار المصرية السابق المرحوم الشيخ عبد اللطيف حمزة عن مفسدات الصوم (١٩٨٥) .

الإسلام يا شيخ الأزهر بـــخير طالما دافع عنه من يدافع ، لقـــاء ايمانه وليس مقابل مرتبه . ولوجه الله ، وليس لوجه السلطة أو المال أو المنصب . وأزهى عصور الإسلام لم تعرف شـــيخاً للأزهر أو لغير الأزهر . وإنما عرفت من عاش بكد يده ، وتعلم من أجل العلم ، وأفتى من أجل العقيدة ، وناصر حـــرية الأجتهاد ، ودافع عن حـــق المجتهدين في الفتوى . ولم يُنكر عليهم، أو يتهمهم بـــالكفر ، أو زيغ العقيدة أو العمالة . ولقد كان واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد يفتيان بعدم قبول شهادة علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بـــن عبيد الله فـــي حزمة من بُقـــل . ولم يكفرهما أحد . ولم يشد على يد المختلفين معهما أحد . ولم يتهمهما بالعمالة أحـــد . أو يرســـل لمن يتهمهما داعياً له بسلامة يمينه .

أحمد الله يا شيخ الأزهر على العيش الهنيء ، والطعام المريء . وأذكره وأشكره كثيراً على تخلف المسلمين . لأنه الحافظ لمنصبك . ولا تتخيل للحظة واحدة أن أحـــداً ســـوف يسمح لك برئاسة محاكم التفتيش ، وبالأتهام والقمع ، وبـــالتهديد والمنع . وأصمت نصمت . وكف نكف . لأنك إن عدت عدنا . وإن قلت زدنا . واقرأ عافاك الله قبل أن تكتب ، فلعلك إن قرأت يفتح الله عليك بابـــاً من أبـــواب العلم والأجتهاد . حفظك الله ورعاك ، وأدام نعمته عليك ، وأوســـع على المسلمين كما أوسع عليك، ورزقهم كما رزقك ، ونعمّهم كما نعّمك ، وعافاهم كما عافاك. أنه سميع مجيب الدعاء .

آبشر بطول سلامة يا برتا

قصة المقال : أسوأ ما يحدث لجيل جديد لم يعاصر بعض الأحداث باليقين ، ولم يقرأ عنها غالباً ، أن تزَيف أمامه الحقائق ، وأن يلبس القتلة مسوح الأبرار ، وأن يتستر أصحاب الطموح السياسي وراء رايات الدين ، وأن يرفع أنصار الردة الحضارية من الشعارات ما يخدع الآخرين ، وما يضعك في مأزق . فكيف ترد على من يرفع شعار " الرسول زعيمنا " وأنت تعلم أنه يُخفى في سرواله خنجراً ؟. وكيف ترد على من يُعلن أن " القرآن دستورنا " رغم أنك متيقن من أنه يُعد أنقلاباً ؟. وكف تواجه من يدعى أن " الموت في سبيل الله أحلى أمانينا " ، رغم أنك تعلم أنه يقصد موتك وموت كل أنصار الدولة المدنية والوحدة الوطنية ؟. وقد تصاعدت هذه الشعارات في الحملة الأنتخابية الأخيرة ، التي شاركت فيها . وأرتفع معها شعار جديد هو " الإسلام هو الحل " ، وهو شعار يعني أنهم يطرحون أنفسهم على أنهم حماة الإسلام وممثلوه . وللأسف الشديد ، فقد أرتبك الجميع أمام الشعار . وخشى الكثيرون أن يتصدوا له أولهُمْ . وأنضم إليهم حزبان في تحالف أسود ، تراجع أمامه الجميع . وأنهالت أموال بعض شركات

توظيف الأموال، تساندهم في حملتهم . وكان لابد من رد ، فكان هذا المقال الذي نشرته مجلة المصور .

المقال : أبشر بطول سلامة يا برتا *

أما " البرتا " فهي نوع من المسدسات ، يُفضل الإخوان المسلمون أستخدامه في حوادث الأغتيال . وأما البشرى فقد زفتها لنا صحيفة حزب العمل ، حين أعلنت علينا ما أسمته " التحالف التاريخي " بين العمل والإخوان والأحرار . وهو تحالف تاريخي في تقديري ، لأنه سوف يدخل بأصحابه في ذمة التاريخ غير مأسوف عليهم . وسوف يكون مدخلاً إلى إنهيار أوهام كثيرة ، وأقوال أثيرة ، لدى أصحابه ولدى غيرهم .

الوهم الأول : الودعاء المسالمون

أما الوهم الأول فهو أن الإخوان المسلمين أبرياء مسالمون ، وودعاء صابرون على العنف، مواجَهون (بفتح الجيم) من أعدائهم بالعنف والتصفية الجسدية ، ومواجِهون (بكسر الجيم) لأعدائهم بالإبتسام والدعاء بالهداية . وهي كلها مقولات تتجاوز عدم الدقة إلى عدم الصحة . ودليلي لا أسوقه من منطلق الخلاف الفكري ، وهو وارد وقائم وأصيل . وإنما أسوقه على لسان قادتهم . فصالح أبو رقيق قد أعترف في "آخر ساعة" بأنهم كانوا وراء أغتيال النقراشي

* نشر في مجلة المصور (أبريل ١٩٨٧) .

بعد طول إنكار[١] . وحامد أبو النصر كتب في مذكراته المنشورة في " الأحرار " عن لقائه الأول بحسن البنا، الذي لمعت عيناه حين أخرج أبو النصر مسدسه، وحين ذكر أنه السبيل الوحيد. ثم كيف بايعه البنا على المصحف والمسدس . والمبايعة على المصحف مفهومة ، أما المبايعة على المسـدس فلا معنى لها في الدين ، ولا منطلق لها في السياسة، ولا وجود لها إلا في عصابات المافيا وجماعات الإخوان .

لكنه هكذا كان ، وهكذا يكون . فالبـيعة في الأعناق ، والخواتيم من جنس البدايات . والرحى إن دارت يميناً بتلاوة القـرآن ، وذكر الرحمن ، فلابد لها – وفاء للبيعة – أن تدور يساراً بإطلاق البـرتا وتجهيز قنابـل الدخان . ولأن الجزاء دائماً من جنس العمل ، فقـد حصد الرصاص فيما حصد حسن البنا نفسه ، بعد أغتيال النقراشي والقاضي الخازندار – وتفجير القنابل في أحياء اليهود ومحـلاتهم ، ومحاولة نسف محكمة الأستئناف ، ومحاولات أغتيال أبراهيم عبد الهادي المتكررة . ثم تولت المشانق الرد ، بعد محاولة أغتيال عبـد الناصر في المنشية . واستمرأ الإخوان ومن دار في فلكهم أن يكتبوا سطراً وأن يتركوا سطراً أو سطرين ، عن إيمان بأن كل شـيء في

---

(١) العدد ٢٦٩٤ من آخر ساعة (١١ يونيو ١٩٨٦) حيث صرح صالح أبو رقيق بما يلي : (نحن لم نغتال سوى النقراشي لأنه خان القـضية الوطنية (؟) والمستشـار الخازندار) وللقاريء أن يقارن هذا بإنكار حسن البنا لذلك في مقاله الشهير (ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين) .

مصر يُنسى بعد حين . فالحـــديث مكرر ومعاد ، عن أغتيال "الإمام الشهيد حسن البنا" ، ولا حديث عن أغتيال "الزعيم الوطني الشـــهيد محمود فهمي النقراشي " ، أو " القاضي الشريف الشهيد الخازندار" . والأحاديث شتى عن بطولات الإخوان في فلســـطين ، ولو صدق ما يدعون ، لتحررت فلسطين ، وعشر دول مثل فلسطين . لكنه السطر المكتوب ، أما السطر المنسي فهو أنها كانت فرصة لجمع الأسلحة، وتدريب كتائب التنظيم السري ، وتجنيد بعض الضباط ، وأختبـــار بعض النظريات العسكرية ، من نوع ما ُنقل إلينا عن الشيخ سيد سابق، حين أفتى مستخلصاً من غزوة بدر ، ما مضمونه أن يتراص الإخوان في شكل قلب وميمنة وميسرة * . وأن تتراص صفوف القلب صفاً بعد صف ، بحيث إذا سقط الصف الأول تقـــدم الصف الثاني . متجاهلاً أختلاف المكان والزمان والقضية والعصر ، وهو ما أنتهى بمصرع الصفوف صفاً بعد صف ، تأكيداً لعبقرية الشيخ سابق العســـكرية ، بعد أن بات ليلته السابقة يراجع أســـلوب توزيع الغنائم والسبـــي في سورة الأنفال . ودونك حديثهم عن أنسحاب حسن البنا من الترشيح في الأنتخابات ، بعد تهديد النحاس له بمحاربته (سياسياً). وتجاهلهم الكامل لسقوط حسن البنا في دائرته ومسقط رأسه (الإسماعيلية) أمام

---

* تتبع الجماعات الإسلامية في جامعة أسيوط نفس (التكتيك العســكري) في هجومها على الزملاء والزميلات من أنصار النشاط الإجتماعي والإختلاط ، مع تعديل بسيط يتمثل في أستبدال البنادق بالكناجر والجنازير .

الدكتور سليمان عيد في أنتخابات يناير ١٩٤٥ ، التي قاطعها الوفد ، ظنا منه أن الساحة قد خلت له ، وهمت بـــه وهم بـــها، لولا أن رأى برهان شعبه . ويستطيع القاريء أن يُطبق ما قيل عن فلسطين على ما قيل عن معارك القناة . وما قيل عن أنهم أصحاب ثورة ٢٣ يوليو وحماتها، لولا "غدر" عبد الناصر . والله يعلم وهم يعلمون، أنهم كانوا وسيلة في يد عبد الناصر للقضاء على الوفد . وقد ســاهموا في ذلك بقدر ما ساهم أخرون، يحضرني منهم سليمان حافظ وفتحي رضوان . وعندما أنتهى دورهم المرسوم ، واجهوا قدرهم المحـــتوم ، بـــنفس منطقهم الغشوم . وهو منطق التصفية الجسدية ، حين حاولوا قـــتل الرئيس في المنشية ، ففشلوا وقـــتلهم هو ، جزاءً وفاقـــاً على منصة الإعدام . وهو ما يُطلق عليه في أمثلة العرب " الجزاء مـــن جنـــس العمل " ، وما يطلق على شبيهه في الكرة أسم " التعادل الإيجابي " .

الوهم الثاني : الإمام الشهيد

أين هم الإخوان الآن ؟ . هذا هو السؤال . والإجابة أنهم موجودون بعون الله في الصحافة القومية . نعم ، الصحافة القـــومية ، تلك التي قضت الشهور تتحدث عن وفاة المرشد السابق ، وتوقعات المرشـــد الجديد . وتكهنات الترشيح ، وأختلافات المرشحين . ورأى فلان ، وقول علان . ثم أخيراً أختيار المرشد المفاجأة . بـــينما لو تجاهلت

الأمر، لما علم المصريون حتى الآن أن هناك مرشداً عاماً أو مكتب إرشاد. ولأضطر المرشد الجديد إلى الدوران على أصحابه وخلانه، مُسراً لكل منهم في أذنه : أنا المرشد الجديد . ولعله كان سيستمع في كل مرة إلى نفس الإجابة: أعطني (أمارة) . أو قل كلاماً آخر يا رجل. لكنه الوهم الذي بثته الصحف والمجلات القومية ، وهي تتصور أنها تتسابق في إحراز أنتصارات صحفية ، موهمة قراء العربية في كل أقطارها، أن شاغل المصريين الأساسي هو الإخوان. وأن همهم هو أختيار مرشدهم . وأن المصريين لن يستريح لهم بال ، ولن يهدأ لهم قرار ، إلا إذا اطمأنوا على أختيار المرشد الجديد .

ولعلي أذكر القراء أيضاً بما نشرته "الأخبار" في صفحة كاملة ، عن ذكرى ما أسمنه " الإمام الشهيد حسن البنا " * أما كونه إماماً فمسألة فيها نظر . وأما كونه توفي شهيداً ، أو قتل قصاصاً ، فعلمه عند ربي . ولعلي أقرب إلى الأقتناع بأنه ُقتل قصاصاً لقتل النقراشي ، خاصة أن شبهة قتله مُعلقة برقبة فاروق ، وهو ولي الأمر بمنطقهم . لكن الأمر المؤكد أن حسن البنا كان زعيماً سياسياً ، قبل أن يكون إماماً دينياً . وأن حسن البنا شيء ، والشيخ شلتوت مثلاً شيء آخر . فالأول رجل سياسة بلا شبهة ، والثاني إمام دين بلا مراء . ومن هنا

---

* حدث ذلك في الصفحة الدينية في جريدة الأخبار خلال المعركة الأنتخابية التي خاضها الإخوان (ابريل ١٩٨٧) .

يُصبح غريباً أن تفسح الصحف القومية صفحاتها لذكرى حسن البنا .
لأننا كقراء ، وكأصحاب للصحف القومية ، لا نختلف على أئمة الدين،
لكنا نختلف على رجال السياسة ، من أمثال حسن البنا، أشد الأختلاف .
فيراه بعضنا إماماً في أعلى عليين ، ويراه بعضنا راسبوتين ، ويراه
الكثيرون بين هذا وذاك ، أو مزجاً من هذا وذاك . وهو في النهاية
ليس مثلاً يُحتذى ، أو نموذجاً يُقتدى به . إلا إذا كنا نسعى إلى خفض
أعداد السكان بالأغتيال المنظم ، أو إعلاء قيم الإرهاب والعنف
والتصفية الجسدية في مجتمعنا الآمن ، أو ترويج الأسلحة المصرية
بخلق سوق داخلية واسعة تُغنينا عن التصدير . وهي كلها أمور لا
أحسب أنها واردة في ذهن قادة السياسة أو قادة الفكر .

الوهم الثالث : وحدة التيار السياسي الإسلامي

وأعود إلى السؤال : أين الإخوان الآن ؟. ولعلي أستأذن القاريء
في تأجيل الإجابة قليلاً، حرصاً مني على عنصر التشويق في المقال.
وحتى أوضح للقاريء في البداية ما يسود الساحة السياسية من خلط
في الأوراق . دليلي عليه ذلك الخلط بين ما يُسمى بالتيار السياسي
الإسلامي ، وما يُسمى بالإخوان المسلمين. لأن السائد أنهم جميعاً
في سلة واحدة ، وأنهم جماعة واحدة . وهو ماليس صحيحاً على
الإطلاق. فالأخوان المجاهدون من أحرص الناس على الشقاق . وقد

كانوا أربع عشرة جماعة بحمد الله ، عندما أعتقـلهم الســادات في سبتمبر قبيل وفاته . وقد فوجيء حراس السجون بـأنهم يصلّون في أربعة عشرة مجموعة ، بعضهم بـإمام وبـعضهم بـدون . ويؤكد العارفون أنهم تجاوزا الثلاثين الآن ، وأنهم مستمرون في مسيرتهم الخالدة . وأن منهم الجهاديين والفرماويين والقطبـيين والتوفقـيين والسماويين والخومينيين. وأن الإخوان أضعف حلقاتهم، فهم ينقصون ولا يزيدون . وهم مفتقدون للصلة مع جماهيرهم الأساسية من الطلبة والحرفيين . وبعض قادتهم ، إن لم يكن أغلبهم ، في غرف الإنعاش، بحكم تقدم العمر، وما بـذلوه من جهد لا يعرف الكلل في تلوين التاريخ على غير لونه ، وفي طمس حقائقه ، وفي تبرير إنحـرافاته . وأنهم منذ ظهور سيد قـطب مُتهمون بـالتخاذل والمهادنة ، وباحـتراف السياسة وهي بدعة، ومغازلة الأحـزاب وهي ضلالة ، وسـيلان اللعاب على مقاعد الحكم ، وهو إثم عظيم إن أتى بغير السيف أو تحقق بدون العنف . وأغلب هذه التيارات ، وهي الأكثرية ، ومنها الجماعات الإسلامية ، لا تعرف لون بطاقة الأنتخاب ، ولا شكل صندوقه ، ولا أسلوب ممارسته. وأغلبهم لا يقرأ الصحف ، حتى لا تتسلل إلى ذهنه صراعات التريب وترهات الأستشراق . والكثيرون منهم يرون في أوروبا مهداً للشـذوذ ، وفي أمريكا موطناً للإيدز ، وفي الأتحـاد السوفييتي مرتعاً للإلحاد. وهكذا تُختزل الحضارة في رموز جنسية

محددة . وهم بعون الله قد أراحوا وأستراحوا ، حين أختزلوا أيضاً برنامجهم السياسي في جملة واحدة ، وهي تطبيق الشريعة . وتصوروها حلاً لكل المشكلات، بدءاً بالإسكان، وأنتهاء باستصلاح الأراضي ، ومروراً بالسياسة النقدية وتزايد السكان . وكفوا أنفسهم وكفونا مؤونة النقاش حول هذه المسائل الثانوية التافهة في تصورهم ، الأساسية والجوهرية في تصور مداركنا القاصرة .

الوهم الرابع : مظاهرات القوة

عندما توفي عمر التلمساني أحتشد الآلاف لوداعه ، وقدرهم البعض بعشرين ألفاً، وقدرهم البعض الآخر بعشرة آلاف. وأثار ذلك هلع بعض الساسة ، وأسال لعاب آخرين . ولسوء حظي كنت في مهمة عمل بالأردن، فلم أتحقق من صحة أي من الرقمين . ولست بالمتحامل حتى أدعى أن الإخوان لا جمهور لهم ، فمصر الشاسعة الواسعة ، بتعدادها الهائل والمتزايد ، لا تعدم أنصاراً لأي فكر . بيد أنه لو صح أعلى التقديرات ، فهو في النهاية لا يزيد عن نصف واحد في المائة من تعداد القاهرة. وإذا جاز أن تكون المقارنة بالجنازات ، فأين جنازة التلمساني، مع أحترامي الشديد لمقامه وجهاده، من جنازة عبد الحليم حافظ ، ناهيك عن جنازة عبد الناصر ذات الخمسة ملايين أو يزيد ؟. لكنه الأسلوب القديم الجديد ، القلة المنظمة ، في

مواجهة الكثرة المبعثرة . والأقلية المتحدة ، في مواجهة الأغلبية غير المنتبهة . ومظاهرات القوة في سبيل القوة، وأي قـوة أعز لديهم ...لا من الحكم؟. ذلك الذي يسعون إليه، حتى تسبح مصر في الظلام، وحتى تتحطم قواها، وينفرط عقد وحدتها، ويتنافس المتنافسون حول مدى العودة للوراء، وهل هو قرن واحد أم أكثر ؟. وهو خلاف لم يُحسم بعد داخل طوائف التيارات السياسية الدينية ، حيث يرى البعض مثل حافظ سلامة (في تصريحه للمصور) * إن العودة للوراء قرناً واحداً كافية. بينما يرى البعض الآخر أنه لا أقل من أربعة عشـر قـرناً للوراء ، تكفي لتحقيق أحلامهم الحضارية .

الوهم الخامس : السعي للديموقراطية

لست أدري كيف يتصور البعض أن تتحقق الديموقراطية على يد من لم تكل أيديهم عن حمل السلاح ؟. ولنقـرأ رأي الكتاب والمفكريين فيهم : فهذا هو طه حسـين يكتب عنهم " ما هذه الأسلحـة ، وما هذه الذخيرة التي تُدخر في بيوت الأحياء ، وفي قبور الموتى ؟. ما هذا المكر الذي يكمن ، وما هذه الخطط التي تُدبـر ، وما هذا الكيد الذي يُكاد ؟. لم كل هذا الشـر ، ولم كل هذا النكر ؟. ولم رخصت بـأمر

* مجلة المصور – العدد ٣١٦٨ – ٢٨ يونيو ١٩٨٥ ، حيث صرح الشيخ حافظ سلامة بأن ما كان مُطبقاً قبل الأحتلال البريطاني سوف يتم إن شاء الله كما كان .. ما شاء الله ..

الإسلام الذي لم يُحرم شيئا كما حرم القتل ، ولم ينه عن شـــيء كما نهى عن التعاون على الإثم والعدوان ؟" . وهذا كامل الشناوي يكتب : إنني حزين أن يُوجد إنسان واحد ، لا جماعة منظمة ، يصنع الموت للناس ، ويحترف التخريب والتدمير . وأن قلبي ليقطر حزنا ، إذا كانت هذه الجماعة ترتكب جرائمها باسم الإسلام وتجد من يصدق دعواها.

إن الإسلام الذي يقول في كتابه الكريم " وجادلهم بالتي أحسن" ، لا يُقر الجدل بالمسدسات والمدافع والمتفجرات (راجع كتاب "حسن البنا" - الدكتور رفعت السعيد ص ٢٢٣ / ٢٢٤) . ولعل أبلغ مثال على موقـــف الإخوان من الديموقـــراطية ما أعلنه الأســـتاذ عمر التلمساني قبيل وفاته في جريدة الشعب ، من رفضه للديموقـــراطية لعشرة أسباب. ثم رسالته الموثقة إلى (الإمام) جعفر النميري، والتي يطالبه فيها بأن لا تأخذه الرحمة بالدعاة إلى الحرية والديموقراطية (راجع كتابنا "قبل السقوط")، بينما النميري يُعدم محمود طه لمعارضته السياسية بحجة الردة ، ويستتيب أعضاء حزب البعث ويحاول أن يُثبت تهمة الردة في حقهم ، لدعوتهم للوحدة العربية على أســـاس قـــومي عربي ، وإنكارهم للوحدة الإسلامية الصحيحة (على حد زعمه) .

عندما تحالف الوفد والإخوان ، أقســم الأثنان بــأغلظ الإيمان ، أنهما كانا يداً واحدة قبل ٢٣ يوليو ، وأن علاقاتهما الوطيدة ضاربة في جذور التاريخ. ويعلم الله ، ويعلم الأثنان ، أنهما طوال تاريخهما السياسي كانا ألد الخصام . وما أشبه الليلة بالبارحة . فها نحن نرى إبراهيم شكري يُعلن أنه (لولا الملامة) لكان قد غير أسم حزبــه من الحزب الأشتراكي إلى حزب العمل الإسلامي . وها هم كتاب العمل والإخوان ، يتبارون في الحديث عن أخوّة أحمد حسين وحسن البنا ، وتوحد أهداف الإخوان ومصر الفتاة . وتحت يدي أحد أعداد مصر الفتاة بتاريخ ٥ أبريل ١٩٤٨ ، وفيه مقال بقلم أحمد حسين عنوانه " لن يمضى عامان منذ الآن ، حتى يكون هذا الشيخ المشعوذ المنافق ، قد فقد كل أنصاره المحترمين ، ولم يبق معه سوى حثالة الناس". أما الشيخ المشعوذ المنافق فالمقصود به حسن البنا ، الذي يصفه المقال بعد ذلك بأنه " وثن ما في ذلك شك أو ريب ، وقد بــدأ الوثن يتداعى ويترنح ، وبدأ أتباعه يكفرون به " . وهو أيضاً "صنم سوف ينقــلب عليه الذين أقاموه وعبدوه، فيركلوه بالأقدام، بل ويتبــولوا عليه كما يبول كل عابدي الأوثان على أوثانهم". ثم هو يصف الإخوان المسلمين بقوله : "لقد قلنا في العدد الماضي أن الدين قد أصبــح الآن وســيلة الإجرام ، فيقتل القاتل وهو يهتف الله أكبر ولله الحمد ، ويفسق الفاســق وهو ينادي الله أكبر ولله الحمد". وتحــت عنوان " مجرم متبــجح " بنفس الصفحة ، وبدون توقيع ، بدأ المقال بعبارة "ذلك هو المرشــد

حسن البنا " وأنتهي بدعاء نصه " فلعنة الله عليك أيها الشـيخ الدجال المنافق ، إننا نرفع أكف الضراعة إلى الله الذي تلوذ بـــــه، أن يهتك سِترك أكثر وأكثر، وأن يُظهرك على حقيقتك ذات يوم " .

وإذا كان ما سبق هو رأي أحمد حسين في حسن البنا والإخوان ، فإننا نتوقع أن يستحي من يتحدثون عن وحدة الحزبين في الماضي . حجتهم في ذلك أن الحزبين قد وحدتهما شـعارات الفاشـية وخلط أوراق السياسة بالدين . وهي حجة ضعيفة ، ومردود عليها بأنه ليس بالفاشية وحدها تتوحد الأحزاب .

وتبقى كلمة

سوف يذهب الملايين إلى صناديق الأنتخابات ، ومن حقـهم أن يختاروا ما يشاءون . وسوف تكون أختياراتهم شـتى . غير أن من واجبي أن أنبههم إلى أن أحد الأختيارات يحتوي على (البرتا) . أما الطرفان الأخران في التحالف، فموعدي مع كل منهما في مقال تالٍ ، لا أنتقل إليه قبل أن أحذر من دخول البرتا وأشباهها إلى البـرلمان . لأن ذلك يُضيف إلى أعباء حراس المجلس الموقر، مهمة تفتيش النواب المحترمين بحثاً عن الأسلحة ، وهي إهانة لتقاليد بـرلمانية أصيلة . ومادام البعض يرى في ذلك بشرى ، ويتوقع للتحالف نجاحا ، فليس لنا إلا أن نردد مع الشاعر بعد التعديل : أبشر بطول سلامة يا برتا .

البرنامج السري للتحالف

قصة المقال : دخـل التحالف السيـاسي الإسلامي (العمـل والأخوان والأحرار) المعركة الأنتخابية رافعاً شعار " الإسـلام هو الحل" . فلما رددنا عليهم بأن الإسلام على العين والرأس ، لكننا نريد ترجمة هذا الشعار إلى برنامج سياسي. نشروا بياناً من نصف صفحة واحدة ، أحتوى ثماني نقاط، لا علاقة بينها وبين الإسلام إلا في نقطة واحدة، هي الدعوة إلى تطبيق الشريعة. فلما واجهناهم بأن برنامجهم علماني ، وأننا لم نجد حلولاً لمشاكل المجتمع الحقيقية ، موثقة بآيات القرآن ونصوص السنة، واجهونا بردود غريبة من نوع: وهل تنكرون أن في القرآن دواء لكل داء ، وحلاً لكل مشكلة ؟. فلما ذكرنا لهم أن المسلمين قد أختلفوا، وتعددت فرقهم حتى جاوزت السبـعين ، وكل منهم يستند إلى القرآن والسنة. وأن القرآن خالد، لكن رؤى المسلمين له تختلف. وأنه كانت للإمام علي بن أبي طالب رؤية ، ولمعاوية بن أبي سفيان رؤية ، ولعبد الرحمن بن ملجم الذي قتل الإمام علي رؤية. أقول لما ذكرنا لهم ذلك.. عادوا إلى نغمتهم القديمة، وأتهمونا بالكفر والعصيان ، والردة بعد إيمان . ولم يكن أمامنا إلا صياغة برنامجهم مُوثقاً بأقوالهم . ولعلها المرة الأولى التي يُنشر فيها هذا البـرنامج ،

الذي أعتذرت مجلة المصور عن نشره ، لأسباب قدرتها

المقال : البرنامج السري للتحالف *

للقاريء أن يخلد معنا إلى قدر من الأبتسام ، و أن يتسرى عن المعركة الأنتخابية بقدر من الفكاهة ، و أن يتصور معنا رداً تخيلياً من أقطاب التحالف (العمل و الإخوان و الأحرار) على ما أعلناه وما نعلنه، وما لا نمل من تكرار إعلانه. من أنهم يبيعون لنا الوهم، ويخدعوننا بمطالبتنا بأنتخابهم ، رغم كونهم لا يملكون برنامجاً مدروساً أو غير مدروس . يواجهون به مشاكلنا بالحل ، وقضايانا بالمناقشة . ولعله من الضروري أن ُننبه القاريء إلى أن تخيلنا للرد يقتصر على الصياغة ، أما المضمون فموثق على لسان أصحابه ، وبأقلامهم . وهو منشور في صحف المعارضة المُعبرة عنهم،وليس لهم أن ينكروا منه حرفاً ، وليس لنا أن نضيف إليه حرفاً . وحسبنا أن نذكّر القاريء بأننا في عام ١٩٨٧ ، وأن بيننا وبين بداية القرن الواحد والعشرين ثلاثة عشر عاماً ، وأن بعضاً من العلمانيين في الغرب قد أدعوا الوصول إلى القمر، وأخترعوا ذلك الشيطان الألكتروني المسمى بالروبوت ، وزادوا غياً وضلالاً فنقلوا ساحة الحرب إلى الكواكب . ولعله من نافلة القول أن نذكر أن ذلك كله كان نتيجة طبيعية لخلاف التيارات السياسية الإسلامية ، وتمزقها ذات الغرب في الأحرار ، وذات الشرق في العمل ، وذات الجنوب في

* أرسل للمصور في أبريل ١٩٨٧ ولم ينشر .

الإخوان ، وذات الشمال في الجماعات. بينما لو توحدت ، وقد توحدت ، ولو صاغت برنامجها ، وقد صاغته . لاهتز الشرق والغرب ، وأفاقوا من غيهم أمام هذا المارد الجديد، وتساقطوا من حوله عن اليمين وعن الشمال بين راقد وقعيد.

اولاً : البرنامج الإقتصادي

لا يختلف أثنان ، ولا تنتطح عنزتان ، على أن المشكلة الأقتصادية هي لب المشاكل. وليت المشاكل أقتصرت على أنخفاض الأجور ، أو أرتفاع الأسعار . وإنما أضيفت إليها مشكلة الديون، وهي أرق بالليل، وهم بالنهار . ولسنا نشك في أن ذلك كله، كان عقاباً من الله على غيّنا وضلالنا وأستهتارنا بأوامره ونواهيه . أما حديثهم عن الميزان التجاري ، أو ميزان المدفوعات . فكبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إن كذباً ، فلا ميزان إلا يوم الميزان ، حيث تُوزن الحسنات والذنوب، وحيث يقول المرء يا ليتني مت قبل هذا، وحيث يفر المرء من أمه وأبيه، وصاحبته وبنيه. أما الحديث عن الميزانية، فهو مقبول بشرط حسن النية . ومن أين تأتي حسن النوايا ، والميزانية مُحملة بالخطايا . وقد أستن الأخ المجاهد إبراهيم شكري سُنة حميدة أعلنها في البرلمان ، وتحدثت عنها الركبان ، حين رفض مناقشة الميزانية لوجود بنود فيها مُحملة بوزر الفوائد الربوية ، وموارد المشروبات الروحية [1] . وللأسف الشديد ، كان هو المناضل الوحيد ، ولو تبعه

(١) موقف مسجل للنائب إبراهيم شكري رئيس حزب العمل في مضابط مجلس الشعب .

الأخرون ، لمرت الميزانية دون مناقشة . ولأصيب الحزب الحاكم بالكمد ، حين يرى الميزانية وهي تمر بسلام ، موصومة بـــالمخالفة للإسلام . ونحن نعد الناخبين في المجالس القادمة ، برفض مناقشـــة الميزانيات جملة وتفصيلاً ، أستمراراً لمسيرة المجاهد الكبير الظافرة ، وإحياء لوجه مصر الإسلامية ، مصر الطاهرة .

هذا عن الميزانيات . أما عن الديون ، فقـــد تطوع الأخ المجاهد مصطفى كامل مراد ، بتوفيق من رب العباد ، بوضع حل جذري لها ، أهمله الغافلون ، ومر عليه الكثيرون مرور الكرام . في مقاله الأفتتاحي المنشور بالأحرار ، وعنوانه "كنز قارون ، وهل يبحثون "[1] . وفيه وضع يده على المفتاح ، ورسم لنا طريق الفلاح ، حين ألهمه الله بأن كنوز قارون ، موجودة أسفل بحيرة قارون . وأن ما علينا إلا أن نبحث عن الكنز ، فتنتهي مشاكلنا دفعة واحدة : نسدد الديون ، ونملأ البطون ، وتقر العيون ، ويفيض الخير على ربوع وادي النيل . وقـــد صاغ الأخ مراد ، بتوفيق من رب العباد ، بحثاً قانونياً وعلمياً دقيقاً ، ذكر فيه أن مجرد أكتشافنا المفتاح ، هو الفلاح كل الفلاح . فقد ورد في القـــرآن ، أن العصبة الأولى للقوة تنوء بحمل مفاتيحه . والعصبة كما ذُكر لا تقل عن عشرة من الرجال . وقد أصاب الأخ مراد كبد الحقيقة حـــين قدر وزن المفاتيح بطنّ كامل من الذهب الإبريز . ولو – لا قدر الله – فشلنا في أكتشاف الكنز ، فإنه تكفينا المفاتيح . وقد تحّســب الأخ

---

(١) المقال الأفتتاحي لجريدة الأحرار في ٧ يوليو ١٩٨٦) – راجع ملحق رقم ٢ .

مراد لألاعيب الصهاينة الأوغاد ، فذكر أنهم لو أحتجوا بأن قارون كان نبياً يهوديا، وأن لهم حقاً في الكنز المصري. فإن من حقنا أن نرد عليهم بأن مصاريف الوديعة في البنوك لا تقل عن واحد في الألف ، وقد مر أكثر من ألف عام ، وأصبح الكنز حقاً خالصاً لديار الإسلام . أما عن البركة التي يُنكرها العلمانيون ، ومن هم في فلكهم سائرون، والتي نسعى إليها بعون الله ، ويمنحها الله لعباده المخلصين ، من أمثال الأخوان المسلمين ، فلنا عليها شاهد ودليل . وليس ببعيد ما حدث في السويس، على يد الأخ حافظ سلامة، الذي وزع على الآلاف كعكاً من صندوق صغير ، فلم ينفذ الكعك ، وشبـــع الجميع . وظل الصندوق ملآناً كما هو ، لا يفرغ منه مداد الكعك ، ولا تهتز فوقـــه أبتســـامة الشيخ الجليل (راجع معجزات الشيخ سلامة في كتاب الشيخ حافظ سلامة " للدكتور محمد مورو – دار المختار الإسلامي). أما ما يشيعه المُغرضون، عن أشتراكية بعض المشاركين في التحالف، أو رأسمالية البعض ، فالله يغفر الذنوب جميعاً عدا أن يُشرك به . والأحرار قـــد رفعت من أسمها لفظ "الأشتراكي" وحزب العمل قـــد أسقـــطها من مفرداته. وقد أعترض البعض ممن في قلوبهم مرض على ذلك، فنبذهم الأخ شكري نبذ النواة ، وتركهم يرفعون القضايا . ورب ضارة نافعة ، فقد أزالوا بموقفهم أي لبس ، وأخرسوا كل همس . وفي ختام البرنامج الأقتصادي ، وختامه مسك ، نعرض عليكم أيها الناخبون هذا التلخيص (يفضل بعض الإخوة أستعمال لفظ البهريز) :

الله واحد : رفض مناقشة الميزانية في البرلمان .

ليس له ثان : البحث عن كنوز قارون في محافظة الفيوم لسداد ديون مصر .

ولا ثالث : حلول البركة بحكم أصحاب الأيدي الطاهرة .

ثانيا : البرنامج السياسي

لا يختلف أثنان ولا تنتطح عنزتان ، على أن المشكلة السياسية هي لب المشاكل ، وأن قضية إسرائيل تقع منها في موقع القلب . ولعل موقف الإخون المسلمين واضح في هذه القضية ، فحربنا معهم حرب دينية . وهم يسعون إلى الأنتقام من هزيمة بني قريظة ، وقد أعترف الأخ مراد بخطئه عندما زار الدولة المزعومة ، وفسر موقفه بأنها من ديار الإسلام ، وأعلن بملء فمه رفض السلام . كما أن الأخ شكري بعد أن وافق على أتفاقية معسكر داوود ، أعلن موقفه المحمود ، بسحب التأييد ، والإدانة والتنديد . وبقي الإخوان على رأيهم ثابتين وبعدائهم مستمسكين . وقد صاغ الأخ الحمزة دعبس ، مرشحنا في الجيزة ، ووكيل حزب الأحرار ، ورئيس تحرير جريدة النور ، مقالاً كأنه اللؤلؤ المنثور ، نشره في جريدته الموقرة [١] ، في عبارة ساحرة، أوضح فيها الحل الإسلامي للقضية ، ورتبه في ثلاث

(١) مقال أفتتاحي للأستاذ الحمزة دعبس في جريدة النور .

مراحل. أولاها أنتهاز فرصة وجود تمثيل دبلوماسي للعدو في مصر، وأستدعاء السفير، وإرسال رسالة إلى رئيس دولة اسرائيل من رئيس مصر، يعرض فيها عليه الإسلام. فإن قبل، فأهلاً به ونعمت . وهنا يصبح السلام، وينتهي العداء، ويحق لدولة إسرائيل البقـــاء . أما إذا رفض الإســـرائيليون العرض، فليس لنا إلا أن نفرض عليهم الجزية، يدفعونها عن يد وهم صاغرون . فإذا رفضوا فقد أدينا واجب الإسلام، ورفضوا هم السلام، وحـــل لنا قـــتل رجالهم، وسبـــي نســـائهم، وأسترقاق أبـــنائهم . ويا أيها الناخبـــون كم هم علينا مفترون، وكم يقولون ما لا يفعلون، وكم يدعون أننا معتدون ؟. وهذا عن دولة بني صهيون، أما عن باقي السياسة الخارجية، فقد نشـــر الأخ يوســـف البدري وكيل حزب الأحرار، ومرشح التحـــالف الفردي عن دائرة جنوب القاهرة، مقالات ساحرة، نشرتها له جريدة الأحرار الظافرة، أفصح فيها عن واجب المسلمين في إعلان الحـــرب على بـــلغاريا وأسبانيا، بأعتبارها دياراً للإسلام، مُنتهكة حرية العقـــائد فيها على يد الحكام . وسوف يكون إعلان الحرب أول ما نفعل، في توقـــيت نُخفيه، لأن الحرب مفاجأة، والكف السابق سابـــق . أطال الله عمر الشيخ سيد سابق، فقد كان مناضلاً عظيماً، ومجاهداً في سبيل الله في تنظيماتنا العلنية والسرية، ولكم منا في النهاية البهريز، الموجز في عبارات مباركة كأنها الذهب الإبريز :

الله واحد : حل قضية إسرائيل إسلامياً .

ليس له ثان : إعلان الحرب على بلغاريا و أسبانيا

ثالثا : البرامج الثانوية

لا يبقـــى أيها الناخب الكريم ، إلا أن نتوجه إليك ببـــرامجنا في بعض القضايا الثانوية ، التي ليس لها أهمية ، مثل الإسكان و التعليم والوطنية . وأهم ما فيها التعليم . وآفة التعليم ما جناه اللورد كرومر على تدريس التاريخ ، حين صاغه على غير حقيقته . و أفسح صفحاته لحياة الفراعين ، الكفرة الأثمين . وقد بذلنا جهداً رائعاً في تصحـــح الحقائق، منها ما ُنشر على لسان مرشحنا السابق الذكر ، الشيخ يوسف البدري في جريدة النور . حين سأله أخ مسلم عن أسم فرعون موسى، فأجابه – لا فض فوه – بأنه قابوس بن مصعب بـــن معاوية . وقـــد خلفه الوليد بن مصعب وزوجته آسيه ، وقد أستند في هذا إلى كتاب الكامل لأبن الأثير [1] . كما أن التليفاز المصري قد ساهم معنا بجهد مشكور ، حين عرض في شهر رمضان العظيم ، في العام الماضي مسلسلا، أسلم جميع الفراعين في نهايته. وهكذا يكون الأنتصار لدين الله القويم . ومادمنا في مجال الحديث عن التعليم، فسوف تتم أسلمة برامجه ، وسوف ُتستنبط جميعاً من الكتب الصحاح ، مثل صحـــيح البخاري وصحح مسلم ومسند أبن حنبل وكتب السنن المعترف بها ، والخالية من الإســـرائيليات . وســـوف ُنطلق على كل منها أســـماً إسلامياً . فتسمى الكيمياء علم القـــوارير الإســـلامية . وتتردد على

(١) جريدة النور – العدد ٢٥٥ – بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٨٧ – راجع ملاحق رقم ٣

المسامع تسميات الهندسة الإسلامية، والجيولوجيا الإسلامية، والطب الإسلامي. ومما هو جدر بالذكر أن التسمية الأخيرة قد شاعت، بجهد مشكور من نقابة الأطباء ، نتيجة جهاد دؤوب من الإخوة المجاهدين في النقابة .

أما قضية الإسكان ، فهي مصطنعة . فقد هَجرنا الخلاء ، وتباعدنا عن سلف صالح أفترش الغبـراء ، وألتحـف السـماء ، وعز عليه الغطاء . ولم نسمع أن أحداً منهم شكا من حر ، أو أرتجف من قـر . وقد أصدر الإخوة المجاهدون في المنيا منشوراً إسلامياً، هاجموا فيه سخف الإنفاق على المجاري . ودعوا فيه إلى الإقتداء بالسلف الصالح في قضاء الحاجة في الخلاء . فلم يستمع إليهم مسـئول ، وهو أمر تحار فيه العقول .

ولا تبقى إلا السياحة ، تلك التي ضج الجمهور مما تنقله من إباحية وشذوذ، وأمراض أهونها الإيدز . وسوف يكون أول قـرار لنا منع السياحة الخارجية ، وقصرها على السياحـة الداخلية ، التي لا مجال فيها إلا لزيارة القبور ، دواء لضيق الصدور ، والله خير حـافظاً ، وهو أرحم الراحمين .

عزيزي الناخب ..

أنصر الإسلام بتأييد التحالف ، وطبق مبدأ خالف تعرف ، وأعطنا صوتك تحصل على الجنة .

عزيزي القارىء ..

ما سبق كان تجميعاً لمقالات منشورة ، وأقوال مكتوبة وموثقـة

لديّ . وليس لأحد أن يعترض على جزء واحد من البرنامج السابق بحجة أنه منسوب إليهم . فهو صادر عنهم ، ومنشور في صحفهم . وقد أجهدت نفسي في جمع مفرداته ، صانعاً منها برنامجاً سياسياً ليس لي فيه إلا جهد التجميع . ولأنهم توجهوا إليك في منشوراتهم بعبارة "الإسلام هو الحل" ، فإني أستسمحك في أن أتوجه إليهم نيابة عنك بسؤال محدد وبسيط هو : هل هذا هو الإسلام ؟.

وأتركك وصوتك ، وأتركهم وضمائرهم ، على وعد بلقاء .

وختانه مسك

قصة المقال : قصة هذا المقال مضحكة مبـكية . فكلنا يعرف أن الفيلسوف الفرنسي الكبير روجيه جارودي قد أشهر إسلامه، وأسمى نفسه رجاء جارودي ، وأستقبل في كل بلد إسلامي حل فيه أستقبالا يليق بتاريخه ومواقـفه . بـيد أن الجماعات الإسـلامية في مصر أستقبلته أستقبالا آخر ، حين أصدرت منشورا شككت فيه في نواياه ، وحاولت إثبات أنه دسيسة لخداع المسلمين . ودعت المسلمين ، حسما للشك ، إلى التيقن من صدق إسلام الرجل ، بختانه . فإن قبل وسـعد بذلك، كان صادقا . وإن رفض وأبى، فقد أنكشفت حيلته . وللعلم فإن عمر جارودي قد تجاوز الثمانين . وللعلم أيضا، فإن عنوان المنشور كان "أمتحنوه بالختان". ومن هنا أتت تسمية المقال "وختانه مسك" . وقد نشرته جريدة الأهالي، ونشرت جريدة فرنسية إشارة لمضمونه. والطريف أن الفيلسوف الفرنسي الكبير لم يزر بـعدها القـاهرة أو غيرها من العواصم العربية، تحسبا من المفاجآت . ومعه حق .

المقال : وختانه مسك *

* نشر بجريدة الأهالي بتاريخ ١٣ يناير ١٩٨٨ .

ليس في العنوان خطأ إملائي أو مطبعي . فالمقصود هو الختان ، وليس الختام . ولست طبيباً أو فقيهاً، فأتطوع بالحديث عنه طبياً أو فقهياً . وإنما أنا مجتهد يُفزعه ما يُفزع الناس ، ويُؤلمه أن يتدنى البعض في عرضه لأفكاره ، وفي شجبه وإنكاره ، فيرى العالم من خلف نظارة حمراء . ويصيب إدراكه ذلك الموات الذي لا يميز معه بين المقبول وغير المقبول . والمسئول وغير المسئول ، والمعقول وغير المعقول . ويتبلد إحساسه ، فلا يعرف لأصحاب الفكر تقديراً ، ولا لأصحاب المواقف توقيراً ، ولا يرعى وهو يفعل ذلك حرمة لمقام أو لمقال أو لعمر أو لتاريخ.

ما هي الحكاية ؟.

الحكاية ببساطة أن المفكر الفرنسي الكبير جارودي قد أشهر إسلامه، وسعد بذلك المسلمون . وتُرجمت كتاباته عن هذه التجربة إلى العربية . وأستُقبل في كل بلد إسلامي بما يليق بفكره وموقفه من حفاوة تكريم. وكان طبيعياً وسط ذلك كله، أن يسعى إليه الصحفيون، وأن يحاوروه ويحاورهم، ويستفسروا منه ويجيبهم . وهنا بدأت المشكلة ، وهي مشكلة ليست سهلة أو محدودة ، وإنما هي من المشاكل المركبة ، تلك التي تتعدد أسبابها وتتنوع نتائجها . وإذا كان السبب الظاهر هو تصريحات جارودي ، فإن الأسباب المستترة متعددة . فواحد منها يتمثل في التركيبة الذهنية الأوروبية المتحررة . وواحد منها لا يقل أهمية ، يتمثل في توقيت صدور هذه التصريحات ، حيث

صدرت عنه وقت أن تصور الساعون إلى تحويل المجتمع إلى دولة دينية ، أنهم قاب قوسين أو أدنى من بلوغ غايتهم. وفي أوج أنشغالهم بتوظيف كل فعل ، وتطويع كل قول بما يخدم أهدافهم . فإذا بجارودي ، الذي أشهروه برهاناً ، ينفجر في وجههم بركاناً ، مُعلناً أنه لا يعتقد بوجود نظرية سياسية في الإسلام . وهو رأي يراه البعض منطقيا ، ويراه البعض الآخر علمانياً ، ويراه البعض الثالث - حلاً للإشكال - أجتهاداً في الفروع وليس في الأصول . بينما يراه البعض الأخير ، وهم المتطرفون ومن جرى جريهم ، إنكاراً لمعلوم من الدين بالضرورة ، يُستتاب صاحبه إن أتاه جهلاً ، ويُقتل إن لم يرجع عنه ، ويُهدر دمه إن أستمرأ غيه ولاذ بديار غير المسلمين .

لا بأس أن نذكر للقاريء أن المتطرفين ، كعادتهم ، كانوا أعلى صوتاً ، وأشد نكيراً ، وأقل تفكيراً ، وأسرع تكفيراً . وقد بدأوا حملتهم بمقالات من نوع "زيغ العقيدة لدى جارودي" و "جارودي يفتقد شروط الإجتهاد" . وما أن سمعوا أن الأزهر قد أعترض على إذاعة أحد أحاديث جارودي في التليفزيون ، حتى تنادوا بحديث الختان ، ذلك الذي أنقله للقاريء دون أن يكون لي فضل إلا أمانة نقل البيان.

لقد أصدرت الجماعة الإسلامية في المنيا بياناً عنوانه " أمتحنوه بالختان" . تحدثت فيه عن : المدعو جارودي ، الذي أشتق أسمه من جارود ، ومعناها بالعربية الفصحى مشئوم . وهو ليس أول جارود يُبتلى به الإسلام ، ولن يكون آخرهم . فقد سبقه الجارود بن زياد بن

أبي زاد ، الذي تُنسب إليه فرقــة الجارودية ، إحــدى فرق الزيدية الزائغة . وبعد وصف مُسهب وطنان ، لمؤامرات الإمبريالية العالمية والشيوعية الدولية ضد الإســلام . وكيف أنها بــعد أن فشــلت في مواجهته نداً لند ، ورجلاً لرجل ، وسيفاً لسيف ، قررت أختراقه من داخله، ومحاربته بسيف المسلمين وتحت مظلة الإسلام. أنتهى البيان برمي قفاز التحدي في وجــه الجارود ، موجهاً حــديثه إلى جماعة المسلمين ، مختصراً اياه في كلمتين " أمتحنوه بالختان " . مؤكداً " أننا – يقصد الجماعة – لا نرى في هذا الأمر تضحــية بــل دليلاً ، ولا نطلبه أمتحانا بل برهاناً ، ولا نقصده إذعاناً بــل عرفاناً . ومعاذ الله أن يخشى العبد عذاب ساعة ، إذا كان حقاً يخشى عذاب الساعة " .

أنتهى البيان الذي قرأه المئات ، وبقيت الأسئلة الحــائرة حــول تفكير المُصدرين له، وأسلوبهم في حوار المختلفين معهم . ومواجهتهم للفكر بــالختان ، وذكائهم وألمعيتهم اللذين يدفعان بالإنســان إلى ما يشبه البكاء .

هل يلومني أحد بعد ما سبق ، إذا أعتذرت عن التعليق على البيان بما هو أهل له ، وإذا ذكرت أن البيان والعنوان يُغنيان عن التعليق ، وأنهما نموذج فذ لأختلاط الملهاة بالمأساة في أقل عدد من الكلمات ، والنباهة بالبلاهة في أقل عدد من السطور؟. أما المأساة ، فليست في حاجة إلى بيان. وأما الملهاة ، ففي تخيل جارودي في ثوبه الفضفاض . وأما النباهة فحدث ولا حرج. وأما البلاهة ، فاحزن مثلي بلا حدود .

ومادام عنوان البيان وخاتمته، قد تكررت فيهما كلمتان لا ثالث لهما، وهما " أمتحنوه بالختان " ، فلا أقل من أن نرد عليهم التحية بأحسن منها ، معنونين مقالنا وخاتمين له ، بكلمتين لا ثالث لهما ، وهما "وختانه مسك" .

دعنا نرفع الكلفة فيما بيننا

قصة المقال : هذا مقال أرجو أن لا يُسيء القارىء الظن بألفاظه، وأن لا يُحملها أكثر مما تحتمل ، وأن لا يتصور في أختيار الألفاظ خبثا أو في تركيب الجمل تخابثا . وللمقال قصة ، فهو للرد على الأستاذ محمد الحيوان، نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية . ليس على مقال واحد فقط ، وإنما على فقرات متناثرة في مقالات شتى على مدى فترة زمنية طويلة . كان يحلو له فيها أن يغمز في شخصي أو في أفكاري غمزاً موجعاً . ومن أمثلة ذلك ما ذكره مرة ، من أنه جلس مع الأستاذ فؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد ، وذكر له أن وجودي في الوفد (وقت أن كنت فيه) سوف يُؤدي إلى هروب الوفديين وفقد الحزب لشعبيته (هكذا) . والطريف أنه نشر ذلك بلا مناسبة، وبعد تركي للحزب بأعوام . وشاءت المصادفة أن تجمعني به في مكتب الأستاذ محفوظ الأنصاري رئيس التحرير، فإذا به ينشر قصة مختلقة عن حديثي معه وحديثه إليّ . ثم يعلن في مقاله، أنني أخدع الناخبين بعدم إعلان برنامجي الحقيقي الموجز، في إطلاق حرية الزناة والسكارى . وكان ذلك في أحرج لحظات المعركة

الأنتخابية. وكرد مهذب عليه ، نشرت هذا العتاب الرقيق في جريدة الأهالي .

المقال : دعنا نرفع الكلفة فيما بيننا *

في أحرج أوقات المعركة الأنتخابية، تطوع الأستاذ محمد الحيوان، في عموده "كلمة حب" ، بنشر حوار دار بيننا في مكتب الأستاذ محفوظ الأنصاري، مختلقاً نصف ما نشره ، مُدعياً بعض العبارات على لساني ، ذاكراً أنني لن تعوزني الشجاعة (على حد قوله) لإعلان أن برنامجي مُختصر في نقطة واحدة هي "عدم تطبيق الشريعة الإسلامية" . مُضيفاً من عنده ما تصور أنه دوافعي إلى ذلك، وهي على حد ما كتب ، إطلاق حرية السكارى والزناة . ورغم الأختلاق، وسوء العبارة، والتوقيت ، فقد رددت عليه بخطاب غاية في الرقة. تعمدت فيه أن أقترب منه بالصداقة، رداً على أبتعاده عني بالعداء . داعياً إياه إلى إزالة ألفاظ التفخيم من حوارنا ، من نوع الأستاذ الكبير أو الدكتور. ومازلت أتذكر الفقرة الأولى من خطابي له حيث ذكرت : دعنا نرفع الكلفة فيما بيننا، فتناديني "يافودة" وأناديك "ياحيوان". ورغم رقة العبارات ، ورغم تذكيري له بأن عهدي به أنه وفي ولطيف وأليف ، فإنه لم يتطوع بنشر الرد ، أو حتى بذكر أسباب عدم النشر .

لقد تذكرت ما سبق ، وأنا أقرأ له في نفس العمود ، تعليقاً عن

* نشر في جريدة الأهالي بتاريخ ٩ سبتمبر ١٩٨٧ .

مؤتمر قضايا الساعة الأمنية ، والذي عقد بـــأكاديمية الشـــرطة ، ينحو فيه باللائمة على المشرفين على المؤتمر ، لدعوتهم بـــعض الأفراد ممن (على حد قوله) يُضمرون عداء واضحاً، ليس للتطرف، بل للإسلام . وبصفتي أحد المشاركين في المؤتمر ، أود أن ألفت نظره إلى أن تهمة العداء للإســـلام ، لا تُلق هكذا على عواهنها . وأن أحداً في المؤتمر لا يُكن للإسلام عداء ، إلا إذا كان الحـــيوان يعتبر قتل الأبرياء ، وسرقة محلات الصاغة ، وحرق محـــلات الفيديو ، وترويع الآمنين بالرشاشات والقنابل ، إسلاماً في إسلام . أو يرى في الهجوم على هؤلاء، هجوماً على الإسلام الحنيف .

ولعله يُدرك أيضاً أن قضية تطبيق الشريعة قـــضية خلافية . وأن البعض يرى أنها مُطبقة بالكامل ، والبـــعض الآخر يرى أنها مطبقة في الغالب ، والبعض الثالث يرى أن تعطيل إقامة الحـــدود منهج وارد منذ عهد عمر بن الخطاب . وأن قضية تطبيق الشريعة جزء من كل ، هو إقامة الدولة الدينية الإســـلامية ، التي تُمثل في رأيي عبئاً على الدين وانتقاصاً منه ، وليست إضافة إليه . وليرجع إلى كتابي " الحقيقـــة الغائبـــة " لكي يُدرك ذلك من خلال حقـــائق التاريخ . وحقائق التاريخ لا تكذب . بيد أن البعض يقرأ ولا يفهم . والبعض لا يقرأ رغم أنه يفهم . البعض لا يقـــرأ ولا يفهم . ولعل الأستاذ الحيوان لا يُدرك أن الدعوة لتطبيق الشـــريعة تُمثل دعوة لقلب نظم الحـــكم . لأنها تستبـــدل إطار الدولة المدنية ، حـــيث

الأحتكام إلى الدستور والقانون ، بـــإطار الدولة الدينية . حــيث الأحتكام إلى هوى المفسرين للقرآن والســـنة ، والمزايدين عليهم. دون أن يقدموا لنا حتى الآن ، برنامجاً واضحاً ومحدداً للحــكم . يكفل حرية الرأي والعقيدة ، ويحترم إرادة الشعب ، ويقيد ســـلطة الحاكم ، ويكفل لجميع المواطنين المساواة في الحقوق والواجبات ، ولا ينسف تراثهم التاريخي في الإنتماء للوطن والذود عنه والولاء له .

ويا عزيزي الحيوان ، هون عليك ولا داعي للشراسة في أنتقاء الألفاظ . فالعدو الحقيقي للإســـلام هو من لم يجتهد لعصره ، ومن لم يستوعب دروس التاريخ ، ومن يلوح بإتهامات الكفر ، ونحـــن على البر . فما بالك لو خضنا معه في لجج أبـــن تيمية ، ودوامات المودودي ، وعواصف سيد قطب ، وعواطف عمر عبد الرحمن . ومعذرة إذا ناديتك بأسمك مجرداً، فأنا ساع إلى صداقتك ، ومزيل لأي قـــدر من الكلفة بـــيننا كما ذكرت . وســـوف أكون في غاية السعادة إذا خاطبتني بأســـمي مجرداً (يا فودة) تماماً كما أســـعد بمناداتك بأسمك مجرداً (ياحيوان) .

أحمدك يارب

قصة المقال : فجأة أحتلت الصفحات الأولى من الصحف اليومية أنباء القبض على تنظيم خطير أسمه رنان ومثير ، وهو "تنظيم إنكار السنة" . وللوهلة الأولى لم أعر الخبر ألتفاتاً، لكثرة ما تعودنا قراءته عن تنظميات العنف المسلحة والمدَّثرة بـــرداء الإســـلام . وتركت الصحف لكي أعود إليها لقراءة التفصيلات (كعادتي) في المســـاء . وما إن بدأت القراءة وأنا مستلق على الفراش ، حتى نهضت جالساً . ومع متابعة السطور نهضت للجلوس على مكتبي . وبـــدأ إشـــعال السجائر وأشتعال الأعصاب . فزعيم التنظيم الخطير (على حد قول الصحيفة) أستاذ بـــجامعة الأزهر ، له رأي (مجرد رأي) في مدى حجية السنة إذا أختلفت مع نصوص القـــرآن الكريم ، أو تعارضت معها . وأسلحة الرجل لم تزد عن كتب نشرها ، وفصله الأزهر من الجامعة بسببها . وهي كتب متداولة في الأسواق . وآراؤه في مُجملها لا تختلف ليس عن رأيي فقط ، بل عن رأي الإمام أبي حـــنيفة. لكن ماذا تفعل لجهاز مباحث أمن الدولة ، الذي نصب نفسه حامياً لحمى ما يتصور أنه صحـــيح العقـــيدة . متجاوزاً في ذلك ما أتصور أنه

صحيح الدستور والقانون. وقد نُشر مقالي في جريدة الأهالي، وأفرج عن الدكتور أحمد صبحي منصور بعدها بأسبوع ، وسعى الرجل إليّ ليشكرني . فأصبحت صداقة أعتز بها ، وأعتز بالمقال من أجلها .

أحمدك يا رب *

المقال : إن صح ما نشرته الصحف القومية ، وأغلب الظن أنه صحيح ، لوجب علينا أن نحمد الله كثيراً على أن الإمام البخاري لم يكن معاصراً . فقد أهدر الرجل نحو ثلاثمائة ألف حديث منسوب للرسول. ولو فعل هذا في أيامنا هذه ، لحاصره البصاصون في مباحث أمن الدولة ، ولحاكمه المتخصصون في نيابة أمن الدولة ، ولأنزلوه وتلاميذه في زنازين سجون الدولة ، ولأتهموه - صدق أو لا تصدق - بتشكيل جماعة سرية غير مشروعة، تناهض المباديء الأساسية للدولة .

الحمد لله كثيراً ، فقد ظهر الإمام أبو حنيفة في عصر غير العصر ، وفي بلد غير مصر . فقد كان الرجل شجاعاً في إنكاره للأحاديث غير الموثقة ، حتى قيل أنه لم يصح لديه إلا ستة عشر حديثاً . وقد كان للرجل تلاميذ ومريدون ، سعوا إليه دون خوف من رقيب ، ونقلوا عنه دون لوم أو تثريب . ووثقوا مذهبه دون أن

---

* نشر في جريدة الأهالي بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٨٧ .

يُتهموا بالخروج على الشرعية أو بتشكيل جماعة سرية . ولو حدث هذا في أيامنا الغبراء، لذاق أبو حنيفة من الهول ما تتحدث به الركبان. ولكان اليوم وراء القضبان ، ولترحم في محبسه على الخليفة المنصور، وهو يقضي فيه الشهور وراء الشهور ، منتظراً فتوى علماء الأزهر . وفتواهم معلومة ومكررة ومشهورة . فما أيسر ما يتهمون بالردة ، وما أسرع ما يصمون المجتهدين بإنكار معلوم من الدين بالضرورة .

يرحم الله الجميع ، ويرحمنا معهم . فقد تذكرناهم ونحن نقرأ في الصحف غير مصدقين ، عن الإمساك بتلابيب جماعة تُنكر السنة. وقد فزعنا لهذا الإنكار أشد الفزع . وقرأنا، فإذا بالفزع يُصبح محنة. وإذا بالإتهامات تتوالى فوق رؤوسنا ، نعم فوق رؤوسنا نحن . فكل أتهام مردود عليه ، وكل إدانة وسام على صدر المدان . بل إدانة لمن أتهم ، ومن أدان .

لقد ذكروا أن المتهم الأول أستاذ في الأزهر الشريف [١] . وأنه فُصل من عمله نتيجة لأعتقاده . أي أنه بمنطق رجال الدن مؤهل للإجتهاد ، وأنه بمنطقه هو مصرّ على أجتهاده إلى درجة فقده لمورد رزقه . وقد زف إلينا الخبر بشرى ضبط " عدد كبير من الكتب التي ألفها ، وكلها تضم أفكاره المنحرفة " .

---

(١) الدكتور أحمد صبحي منصور – أحد الرموز الفكرية المجتهدة المستنيرة .

المضبوطات إذن كتب، وليست مفرقعات. وآراء، وليست قنابل. وأفكار، وليست طلقات . بيد أن الخبر يُشير إلى أنها أفكار منحرفة . وقبل أن نتساءل عمن يملك الوصم بالإنحراف ، وقبل أن تستبد بـــنا الأوهام ، ننقل ما ورد على لسان المتهم الأول في صحيفة الأهرام . فقد ذكرت الصحيفة بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٧ أنه قد ورد في أقوال المتهم : أن ما لا يتفق مع القرآن الكريم من أحــاديث ، يُبــرأ منها الرسول . وأن سنة الرسول الحقيقية هي تطبيقه الفعلي والقولي . وأن منطقه إلى هذا التمحيص ، هو شكه في قطعية نصوص السنة نتيجة لجمعها بعد أكثر من مائة عام من وفاة الرسول . وتضيف الصحيفة أن المتهم قد أدعى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه منع أن تكتب الأحاديث .

أما تدوين السنة بعد أكثر من مائة عام من وفاة الرسول ، فحقيقة يعرفها طلاب الإعدادية الأزهرية .

وأما نهي عمــر رضي الله عنه عــن كتابة الأحاديث ، فمعلومة ُتثبتها كل كتب التاريخ الإسلامي .

وأما مُطابقة السنة القولية أو الفعلية على القــرآن الكريم ، فمنهج لا يختلف فيه أثنان . وبتعبير رجال الأزهر ، لا تنتطح فيه عنزتان . بل وأكثر من ذلك ، فإنه منهج مُوثق بأحاديث الرسول في البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأبــن ماجة والنســائي وأبــن حنبــل والدارمي .

لكن هذا كله لا يشفع للقابعين في لاظوغلي . ومادام اسم لاظوغلي يُوحي بأنه تركي الأرومة ، فليتعامل فقهاء لاظوغلي مع المفكرين بمنطق : أنتي بتشتغلي ايه يا خلبوصة .

لا بأس ، بل الباس كله حين نقرأ فقرة أخرى في حيثيات الأتهام، تذكر أن المتهم قد " أدعى أن القرآن الكريم لم يأت بحكم القتل على المرتد". وهي فقرة مُضحكة مبكية، لأن ما ذكره الرجل ليس أدعاء بل حقيقة . كان الأحرى بمن وصف هذا القول بأنه أدعاء ، أن يتحرى ، وأن يقرأ القرآن ، وأن يعود إلى كتب الفقه وأقوال الفقهاء . حتى يعلم أن حد الردة غير مُوثق بالقرآن ، وأنه موثق فقط بحديثين منسوبين للرسول .

وأن الأهم من ذلك كله ، والمتيقن قبل ذلك كله ، أن نصاً واحداً في القرآن لم يرد ، وأن المتهم بهذا القول ليس مُتهماً ، والمدعي بهذه الحقيقة ليس ُمدعياً . وأن على المدعي بعكس ذلك ، أن يثبت أدعاءه بنص قرآني . وهو لن يثبت ، لأنه لن يجد .

حسناً ، بل ليس بحسن على الإطلاق . وعفوا إذا أزعجنا القاريء بتكرار نص الأتهام ، وهو " تشكيل جماعة سرية غير مشروعة تناهض المباديء الأساسية للحكم " .

أما أنها جماعة سرية ، فنص الخبر يُوحي بغير ذلك . فدعوة الرجل موثقة في كتبه المنشورة على الملأ .

وأما أنها جماعة غير مشروعة ، فهو خبـر جديد ، وبشـرى تزفها إلينا مباحث أمن الدولة . فحواها إغلاق باب الإجتهاد ، لأنه غير مشروع حتى للمؤهلين له ، مهما كانت أسانيدهم الفقهية ، أو حججهم الشرعية .

ويبقى الأهم والأخطر ، وهو أن الآراء السابقة تناهض المباديء الأساسية للحكم . أية مباديء ؟. وأي حكم ؟.

هل خالف هؤلاء الدستور .. وإذا كانوا خالفوا ، فأي نص ؟.

هل خرجوا على القـانون .. وإذا كانوا قـد خرجوا ، فأين هو القانون الذي يمنع مسلماً من الأجتهاد ، ومفكراً من إبداء الرأي ؟.

لا بأس أن نكرر ما بدأنا به الحديث ، وهو أن نحمد الله كثيراً . فمثل هـذه القضية دعـوة صريحة لمـراجعة الأجهزة لدورها ، ومراجعة الدولة لسياسـتها .. إن كان ما حـدث تعبـيراً عن هذه السياسة ، وهو ما لا نظن .

ليس دور مباحث أمن الدولة أبـداً ، ولن يكون ، أن تضع على رأسها عمامة ، وأن تفتش عن الإيمان في القلوب . وإنما دورها أن تحارب الخروج على القانون ، وأن تواجه العنف والإرهاب ، وأن تكفل ما نص عليه الدستور من حرية الفكر والعقيدة..

ليس دور مباحث أمن الدولة أبداً ، ولن يكون ، أن تصادر كتاباً

أو تحجر على فكر ، أو تقبض على حروف ، وإنما دورها أن تصادر قنبلة ، وأن تحجر على مطلقي الرصاص ، وأن تقبض على حاملي الكلاشنيكوف .

وليس لنا إلا أن نتساءل عن الفرق بين حكومتنا الرشيدة ، ومنهجها السديد ، وبين ما فعلته حكومة النميري في السودان ، حين حاكمت محمود طه، وأعدمته بذات التهمة التي تُوجه اليوم إلى متهم جديد ، وبنفس الأسلوب .

إن القضية المطروحة على الرأي العام اليوم ، تضعنا جميعا على مفترق طريقين : إما أن نكون متحضرين ، أحرارا فيما نفكر فيه ، طلقاء فيما نعتقد فيه . وإما أن نتعشق القيد ونتغزل فيه ، ونتجاهله إذا لم يُطبق على أيدينا، فيُطبق عليها ذات يوم قريب .

وحتى نتجنب هذا اليوم ، فلنتخيل دائماً ما حدث من قائد القوة التي فتشت منزل المتهم. ولنتصوره وهو يقفز فرحاً ، ويهتف مرحاً: كتب ، آراء ، أفكار ، أجتهادات ..

أحمدك يارب ..

نكون أو لا نكون

قصة المقال : فجاة توالت العمليات الإرهابية ، وأنهال رصاص المتطرفين على حسن أبو باشا والنبوي إسماعيل وزيري الداخلية السابقين ، ثم على مكرم محمد أحمد الصحفي الشهير . وكان لدوي الرصاص فعل السحر . فقد صمت الجميع . ثم بدأت المقالات في الصحف القومية والصحف الحزبية ، وكلها تحمل نغمة واحدة ، وهي دعوة الدولة إلى ضبط النفس . وكان أطرف ما نُشر في هذه الفترة أن ظهور الجناة باللحي والجلباب ، دليل نفي للتهمة ، وليس دليل إثبات . وهكذا ، ولأكثر من شهرين كاملين ، ترجمت المقالات المتتالية تلك الحكمة الشهيرة " أنج سعد ، فقد هلك سعيد " . ولست أدعي أنني كنت أشجع الشجعان ، لكني أؤكد أن المقال التالي الذي نُشر بجريدة الأهرام كان أعنف مقال عكسي ضد هذه الموجة . تلك الموجة التي ربما فسَّرت وضوحه وحدته وعنفه، وبررت محتواه. وقد أحدث المقال أثره ، كما توقعت . وعندما قبض على الجناة ، كانوا من الجماعات الإسلامية ، كما توقعت أيضا . وكان أسمي ضمن قوائم الأغتيال المضبوطة لديهم ، كما توقعت دائما .

المقال: نكون أو لا نكون *

من واجبي أن أذكر القارئ بمسلسل المقـالات ، التي حـاولت "تطوعاً" دفع التهمة عن الجماعات الإسلامية، في محاولة أغتيال أبو باشا . واستسهلت نسبتها إلى قوى خارجية ، أمريكية أو إسرائيلية ، أو قوى داخلية علمانية . ووصل بـها الأمر إلى التأكيد على أن أيّ تصريح للداخلية مُلفق ، وأي بيان للجماعات مصدق . ولم يشذ عن هذا الشذوذ، إلا ثلاث مقالات لمكرم وبهاء الدين والدالي. وقد وصل الرد إلى مكرم بالبريد المستعجل [1] . أما علم الوصول ، فأحسب أن أحداً من كتاب المسلسلات السابقة لا ينكره . وإذا كان من حق هؤلاء الكتاب ، وأغلبهم نجوم إعلاميون في الصحف القومية ، أن يلبسـوا ثياب ملائكة الرحمة ، وأن يعلنـوا خوفهم من لجـوء أجهزة الدولة " القاسية " إلى عنف الرد . فإن من حقنا عليهم أن نسألهم عن دوافع هذا الخوف، وهل هو خوف حقاً على الدولة ، أم خوف على أنفسهم، أم خوف على الجماعات ؟. ولماذا وهم في غمرة الخوف هذه ، لـم يتسرب إليهم خوف علينا ، نحن الشعب ، من إرهاب مارسـه علينا غلاظ القلوب وقساة الأكباد؟. الذين لا يعرفون من الإسلام إلا السيف أو الزناد ، وينشغلون عن سماحة الإسلام بترويع العبـاد ، ويردون على التحية بالبنادق الآلية، ويقصفون الحروف بالكلاشنيكوف؟. بل

* نشر في جريدة الأهرام بتاريخ ٧ يونيو ١٩٨٧ .

(١) إشارة إلى محاولة أغتيال مكرم محمد أحمد .

يُحلون الحرام عن عمد ، ويرتكبـون الجرائم بقـصد . فهم يحلّون الكذب ، حين يدعون أن أبو باشا [1] مزق المصحف وداسه بالأقدام . ويُحلون السرقة، حين ينهبون محلات الصاغة الأقبـاط . ويحلّون القتل ، حين يغتالون رئيس الدولة في المنصة ورجال الشـرطة في أسيوط . ويصلون إلى ذلك كله بفتاوي من لا هم لهم إلا الإفسـاد في الأرض . وإذا كان تهديدهم لأبو باشا ، بالاشـعار والأناشـيد التي تتحدث عن الرشاش وغرف الإنعاش ، لا يصلح دليلاً للشـك . وإذا كانت اللحي ، لا تصلح سبـيلاً للتأكد . وإذا كان ماضيهم في أغتيال القادة وزعزعة هيبة السلطة ، لا يصلح سنداً للإشتبـاه . فمتى إذن يتوافر الدليل والسبيل والشـك ؟. وإلى متى تدفعنا كراهية علي إلى أحضان معاوية ، أو طعام معاوية إلى كره علي ، أو سيوف معاوية إلى هجر علي ؟. وحتى متى يُوجه الرصاص إلى مسئول ، فيصيب غيره في مقتل ، أقصد في مقال ؟.

لقد كانت أهداف عمليتي أبو باشا ومكرم واحدة ، وهي هز هيبة الدولة ، وترويع المسـئولين فيها ، وتخويف أصحـاب الأقـلام الشجاعة . والإيحاء للراقصين على الحبـال بـأنهم أذكياء . وإيهام المزايدين والمؤيدين بأنهم على حق . وأبداً لن يصلوا إلى أهدافهم . فمصر الكنانة لا تركع، وأقلام الشرفاء لا تخاف . واللجوء إلى القتل إعلان لإفلاس العقل . والذي يحتمي بالمدفع في حـواره جبـان .

(١) وزير الداخلية الأسبق – أصيب في محاولة آثمة لأغتياله .

والجبناء لا يخشاهم إلا الجبناء . والشجعان وحدهم يرثون الأرض . والرحماء وحدهم يبنون المستقبل. وفي البدء كانت الكلمة ، وفي الختام تكون . وإذا كان مطلقو الرصاص قد أرتكبوا جرما ، فإن من يزايدون عليهم في الأحزاب السياسية والصحف الدينية ، يرتكبون جرماً أكبر. ومن يخافون منهم اليوم يرتكبون جرماً أكبر وأكبر .

إن وصف مرتكبي الجريمة بأنهم ضحايا ، أو أنهم أصابوا الغاية وأخطأوا السبيل ، مزايدة رخيصة ، وجريمة في حق الوطن والمواطنين . فالإرهابيون مجرمون آثمون ، بل هم فتية لم يؤمنوا بربهم يوماً . لأنه جل جلاله الرحمن . ولم يسلموا قلوبهم للإسلام يوماً ، لأنه دين الرحمة والموعظة الحسنة . وإذا كانوا يُعلنون كفرهم بالوطن، فمن حق الوطن أن يكفر بهم. وإذا كانوا قد أحلوا دم الجمع، فمن واجبهم علينا أن نذكرهم بأنهم قد أحلوا دماءهم أيضاً. بالقانون هذه المرة ، وبالشرع الذي لو أحتكموا إليه ، لقتلهم أو صلبهم أو قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف .

على المزايدين إذن أن يخجلوا من هول ما يفعلون . وعلى المدافعين أن يدركوا أنهم مشاركون . وعلى المهولين من قصص التعذيب أن يدركوا أن أحداً لا يقبل به. بيد أن تهديد الوطن بالإرهاب أشد . وهو في ميزان الرحمن أثقل ، وفي ميزان التاريخ أنكى وأفظع . ولعلهم يُدركون أن الديمقراطية التي أتاحت لهم المزايدة ، وأمكنتهم من الدفاع ، مُهددة اليوم في مقتل ، مُزلزلة بكل صاحب

رأي يُصاب ، مُغتالة بكل صاحب فكر يصرعه الهوى والغي وفساد القلب والعقيدة ، ولعل من رفعوا شعار أن " الإسلام هو الحل " ، دون أن يُوضحوا لنا ما يقصدون ، يدركون اليوم أن البعض قد قرأها على أن الإسلام هو الحِل (بكسر الحاء) . وفهمها على أنه حِل الدم، دم الأبرياء والشرفاء والشجعان . ولعلهم اليوم مُطالبون بتوضيح مقاصدهم ، وبأستنكار تسمية جماعات الإرهاب بالإسلامية . تنزيهاً للإسلام، ونفياً لتهمة الإرهاب عنه . ولعل كتّاب الصحف والمجلات الدينية ، وبعضها تصدره الأحزاب الرسمية ، يدركون اليوم أن ما حدث جزء من حصاد ما كتبوه . ولست في هذا متجنياً أو متزيداً ، فيكفي أن يراجع البعض كتاباتهم في السنوات الأخيرة ، حتى يجدوا مكرم وأبو باشا وغيرهم متهمين بالمروق والإرتداد وزيغ العقيدة والكفر الصريح .

وأخيراً .. سوف تظل مصر آمنة كما كانت ، وكما ستكون . وسوف يستمر مكرم وغير مكرم ، في الدفاع عن شرف الوطن دون خوف أو تردد . لأن الرجال يعرفون الحق ، وبالحق يُعرفون . وسوف يدفع الرصاص الآثم شعب مصر كله إلى مواجهة الإرهاب . ولعل الدولة قبل الجميع مطالبة بإعمال القانون ، وبإلزام الجميع بعدم المزايدة على الوطن وأمانه . لأنه إما أم نكون ، أو لا نكون .

حياك الله

قصة المقال : هذا مقال يتعرض لنموذج من العبث الرخيص ، الذي أبتلى الله بلادنا به ، في غفلة واضحة من القانون وأحترام النفس . وفي حضور واضح لرائحة النفط التي أزكمت بعض الأنوف وأشبعت بعض البطون . وفي هبوب واضح لرياح الخماسين ، التي تهب من الشرق مُحملة بقيم الجار ، دون أن تحترم حسن الجوار ، ولا الحدود بن جار وجار . والقصة سوف يجدها القاريء واضحة في ثنايا المقال . وهي عن مستثمر سعودي (لا أعرف أسمه للآن) ، سمحت له مصر بإستئجار وادارة أحد فنادقها . فتصور نفسه مصلحاً دينيا ، وتخيل أن ريالاته يُمكن أن تفرض قانون بلاده على قطعة من أرض مصر . وبينما لا يستطيع المصري أن يعمل في بلاده إلا بضمانة كفيل . يتكفل هو بفعل ما يحلو له ، حتى ولو كان على حساب الأعراف . وحتى لو أدى ما يفعل إلى الإضرار بإقتصاد البلد الذي أستضافه وأكرمه ، ويجد للأسف الشديد من يهلل له ويصفق لفعاله .

إن المملكة العربية السعودية بالنسبة لي وطن عربي كريم ، لقياداته كثير من المواقف المشرفة بجوار مصر ، ولبعض أبنائه من

الأصدقاء كل الحب و التقدير . لا علاقة لذلك كله بهذه الواقعة ، التي ُتعبر عن سلوك شخصي لفرد . بيد أن علاقــتها وطيدة بأحــترام القوانين والأعراف في مصر . تلك التي يبــدو أنها لا ُتحــترم من المصريين أنفسهم . وقــد زاد الأخ الســعودي على ذلك ما لم نكن نعلمه ، وهو انها لا ُتحترم أيضاً من بعض من يقيمون فيها من غير المصريين .

لقد أرسلت هذا المقال إلى جريدة الأهالي ، التي نشرت كثيراً من مقالاتي . وقد أعتذرت الجريدة أعتذاراً رقيقاً ، بحــجة أنها مقــالة "شديدة" . فكان أن وجد المقال طريقه إلى القــاريء في هذا الكتاب ، لكي يقرأه ، لأول مرة .

المقال : حياك الله *

نقلت إلينا جريدة "النور" الإسلامية، التي يصدها حزب الأحرار، بشرى أبرزتها في الصفحة الأولى . مضمونها أن مستثمراً "ســعوديا" تعاقد مع وزارة السياحة على إدارة فندق سافوي بالأقــصر . وكان أول أعماله المجيدة ، التي هللت لها الجريدة ، وباركها الشيخ أبــو الوفا المتجلي الإمام الشهير بالأقصر في خطاب له نشــرته الجريدة في صفحة أخرى ، أن أصدر قراراً بتحريم تقــديم الخمور للنزلاء . وقد فزعت لذلك غاية الفزع . ولا علاقة لذلك الفزع بحل الخمور أو

* أرسل لجريدة الأهالي ، ولم ينشر .

حرمتها ، وإن كنت سأناقش ذلك أيضاً . وإنما للفزع علاقــة وطيدة بمدى أحترام الغرباء في مصر للنظام العام ، ومدى ألتزامهم بالصالح العام . ولست أحسب أن مستثمراً مصرياً يُمكنه أن يذهب إلى السعودية لكي يُدير فندقاً ، فيطبق قانونه الخاص ، ويصدر قراراً بإباحة تقديم الخمور للنزلاء في فندقه ، دون أن يكون مصيره الطرد ، بعد أن يتلقى نصيبه من الجلدات في ميدان عام، أو من السنوات في غياهب السجن . ولست أحسب أيضاً أن المستثمر السعودي يملك أن يفعل ما فعله في مصر ، إذا تعاقد على إدارة فندق سياحي في إحدى البلاد الأوروبية . ذلك لأن للقــانون هناك هيبـــة .، ولأن النظام العام هناك لا يتســع للأجتهادات . ولأن النشاط الإقــتصادي لا يســمح بــالعنتريات أو الفرقعات أو النزوات . بــينما يحــدث العكس في مصر ، ويتصور المستثمر أنه بدولاراته أو برياﻻته، قد أشترى مصر ومن فيها . وأنه قادر على تطبيق قوانينه، لا قوانين الدولة. وأنه لم يأت للمساهمة في التنمية ، وإنما للمساهمة في التربــية . وأن دوره يتعدى التمويل إلى التأديب والتهذيب والإصلاح .

لست أدري حقاً من الذي أغوى هذا الرجل بــالدخول في ميدان السياحة ؟. ومن أوهمه بأن السياح يأتون إلى بلادنا لإشهار إسلامهم؟. ومن خدعه بأن هدفهم من زيارة الأقصر هو السياحة الدينية ؟. ومن ضحك عليه ، مصوراً له ، أنه بماله يســتطيع أن يفعل في مصر ما يشاء ، وأنه ما دام سعودياً وأدار الفندق ، فإن الفندق يُصبــح أرضاً

سعودية ، تسري عليها القوانين والأعراف السعودية ، ويستقبل فيها السياح بياهلا، ويودعهم بحياك الله ؟.

لست أدري حقاً من الذي خدع الرجل؟. وإنما الذي أدريه أن أرض مصر واسعة ، وأنه كان يملك بأمواله أن يبني مسجداً ، أو يقيم مصحة ، أو يساهم في تمويل معهد ديني ، أو مصنع للملابس لإنتاج الجلباب القصير ، أو مصحة نفسية لعلاج المتطرفين الذين يركبون الناقة ويقضون حاجتهم في الخلاء ، أو أستصلاح الصحراء ، أو تمويل مشروعات البناء . أو غير ذلك من المشروعات التي لا تصدم وجدانه ، ولا تستثير كوامنه وأشجانه . لكنه بأختياره للسياحة بدا لنا مُصلحاً أخلاقياً ، وليس مستثمراً . ويؤسفنا أن نذكر له أننا في غنى عن مواعظه ، وفي غير حاجة لمفاهيمه . وأنه إذا فضل أن يُطبق القانون السعودي في مصر ، فأولى به أن يعود إلى بلاده . وسوف يجد الكثير والكثير مما يستوجب الإصلاح ، شريطة أن يغوص قليلاً خلف الواجهة البراقة ، وأن يبتعد قليلاً عن الظاهر من الشعارات الرنانة . وما أحرانا أن ننبهه إلى أن للسياحة في مصر وزارة تحميها من بطش أجتهاداته . وأن خمسة من أمثاله ، كفيلون برياالاتهم بإغلاق الأقصر . وأخشى ما أخشاه أن يُساعد أرتخاء هيمنة الدولة على القطاعات التابعة لها، ذلك المستثمر ونظراءه، أن يتجاوزوا، فيتدخلوا في سلوكيات السياح أو في طبائعهم أو أزيائهم . وسوف يجدون بالطبع من يهلل لهم كما هللت النور ، ويباركهم كما

باركهم أبو الوفا .

هذا عن الجانب العام في القضية ، وهو الجانب الأهم .

ولست أجد حرجاً في مناقشة الجانب الديني الذي أستند إليه طويل العمر . ومبعث عدم التحرج، أنني لم أدعِ يوماً أنني رجل دين ، ولم أسع يوماً إلى منصب مفتي الديار ، ولم ألتزم في القضايا العامة بغير ما يجب أن يلتزم به الجميع ، وهو الدستور والقانون . غير أنني أملك من أتساع الأفق ما يسمح لي بإستيعاب تجارب الآخرين ، وبوزن الأمور بمقاييس المصلحة العامة . ولقد سبقتنا الولايات المتحدة في ١٦ يناير عام ١٩٢٠، بإصدار قانون يحظر صنع الخمور وبيعها وأستيرادها. وكانت نتيجته أان ظهرت عصابات المافيا لتهربها ، وانتشرت الخمور بأضعاف ما كان عليه الأنتشار قبل صدور القانون ، وتوفي الكثيرون نتيجة غش الخمور . ثم في النهاية ، ألغي القانون في ٥ ديسمبر ١٩٣٣، بعد تجربة مريرة .

يستطيع من عاشوا في السعودة أو ليبيا، أن يدركوا أن البشر هم البشر. وأن ردود الفعل في البلدين هي نفس ردود الفعل في الولايات المتحدة . ويسبق ذلك كله أن نؤكد حقيقة واضحة ، وهي أننا في مصر في ظل إباحة الخمور ، نحقق أقل المعدلات في العالم . وأكررها ، وأنا دائم السفر والترحال ، أقل المعدلات في العالم ، في شرب الخمور والإدمان عليها . ويستطيع أي مقيم في قرية ، أو شارع في المدينة ، أن يحاول جاهداً أن يعد على أصابع يديه عدد من

يشربون الخمر، حتى يتأكد مما أقول . وحتى يُدرك أن المنع بسلطة القانون، هو السبيل المؤكد إلى الأنتشار . والدليل على ذلك يتمثل في أنتشار المخدرات ، أضعاف أضعاف أنتشار شرب الخمر . رغم أن المُشرع يصل بعقوبة الأتجار فيها إلى الإعدام . وما أكثر ما تحدثت في كتبي ومقالاتي ، عن عقوبـــة الخمر في الإســـلام ، وكيف أنها تعزيزاً ، وليست حداً . وما أكثر ما أفضت في أجتهادات أبي حنيفة، وفي تطابق القانون المصري مع مفاهيم الفقه ، فيما يتعلق بعقوبـــة السكر البين . وسوف يُسعدني أن يلجأ من يريد ، إلى قراءة كتبي، أو أن يُطرح الأمر في نقاش عام ، تتسع فيه المساحة والساحـــة لمزيد من التفاصيل .

وتبقى في حديثي عدة ملاحظات . أولها يتمثل فيما ألاحـــظه من نشاط متزايد، وسعي إلى النجومية ، من أبو الوفا المتجلي ، متمثلاً في سعيه بالشيخ كشك والشيخ عمر عبد الرحمن . وأود أن أهمس في أذنه أنه أساء أختيار المكان أو الأسلوب . وأن هذا الســـعي في بـــلد مثل الأقصر ، يُهدد أقتصادها ، ويخرّب وحدتها الوطنية . ولا أزيد على ذلك. وفي الجعبة مزيد ، وفي القانون رادع ، وفي سلطة الدولة مرفأ أمين. وإنما أشير وأنذر.

وثانيها رجاء إلى وزير السياحة ، أن يكون واضحاً وحاســـماً في هذه الأمور . وأن لا يترك الحبل على الغارب لمن يُخربون السياحة، بإسقـــاط أجتهاداتهم عليها . وأن يسحـــب التراخيص ممن لا يلتزم

بالقواعد العامة . وأن يضع في نصوص التعاقد ما يُجبر المتعاملين في السياحة على الألتزام بقواعدها ، أو تركها لنشاط الاخرين . أو العودة غير مأسوف عليهم من حيث أتوا .

وثالثها نداء أوجهه للمستثمر السعودي ..

يا طويل العمر ، نحن شعب فقير ، يعتمد على موارد محدودة ، أحدها السياحة . ونحن متحضرون إلى النخاع ، متفتحون إلى غاية المدى . وقد عوضنا الله عن ضيق اليد أتساعاً في الأفق . وأنت رجل تملك أن تدفع لتستأجر الفنادق في الدنيا ، وتحرص على الأجتهاد لأمتلاك القصور في الآخرة . ونحن لا نقف في وجه أمانيك . لكنا نرجوك أن تمول هذه القصور بإجتهاداتك في بلادك بعيداً عنا . وسوف تجد في أجتهادات العدل الأجتماعي على لسان علي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي ، ما يكفيك وزيادة . وفي بلادك مثل شائع يقول "يا غريب كن أديب" . والمقصود بالمثل ليس الأدب بالطبع ، فأنت مؤدب ومهذب ما في ذلك شك . لكن المقصود هو أحترام نظام مجتمع الغربة وقوانينه وقواعده. لذا لا بأس أن نُعيدها على مسمعك "يا غريب كن أديب".
حياك الله ..

اللهم رحمتك وغفرانك

قصة المقال : فجأة أعلن المتطرفون عداءهم للفن . ورغم أن ذلك العداء كان واضحاً منذ زمن بـعيد ، من خلال الحـوادث المتكررة لحرق المسارح ، مثل الهوسابير ونجم والجمهورية . وربما قبـلها حرق الأوبرا، لأننا لم نعرف في تاريخنا كله هواة لحرق المسـارح غير هؤلاء. إلا أن توالي الحوادث، وتواترها في أمكنة مختلفة، وفي زمن قصير ، شـغل المصريين إلى أقـصى حـد ، وأزعجهم أيما إزعاج. ففي كلية آداب القاهرة منعوا حفلاً للغناء . وفي جامعة أسيوط دمروا آلات الموسيقى . وفي قرية كودية الزار بمحـافظة أسـيوط هاجموا فرقة مسرحية . وعلى صفحات أخبـار اليوم أعلن الشـيخ الشعراوي أن الموسيقى مقبولة ، إذا لم يترتب عليها أهتزاز الجسـد الذي يؤثر على الوقار . وقبلها أعلن أستنكاره لسلوك البـعض ممن يناموين على موسيقى بيتهوفن . وهكذا أراد البعض أن يقف الإسلام في المواجهة مع الفن . وقد تزامن ذلك مع أنسحاب بعض الفنانين من ساحة الفن إلى ساحة التفرغ للعبادة ، معلنين عن توبتهم وندمهم على ما أقترفوه في الأيام الخوالي . نذكر منهم الفنانة شمس البـارودي

والفنانة شادية، والفنانة هناء ثروت . وأخيراً الراقصة الشرقية (سابقاً) هالة الصافي . وقد أعلن الشيخ الجليل الشعراوي أن أغلبهم قد تاب وأناب على يديه.

في ظل هذا المناخ ، الذي قد يعَجب (بفتح الياء) له البعض ، وقد يُعجب (بضم الياء) البعض ، كان هذا المقال الذي نشرته جريدة الأهرام تحت عنوان " الموسيقى غذاء للروح " .

المقال : اللهم رحمتك وغفرانك *

في الدول المتقدمة ، يستعينون بالموسيقى في مزارع الماشية ، لأنها تزيد من إدرار اللبن. ودلالة ذلك أن الماشية تطرب للموسيقى. بينما يدعو البعض إلى حرمان البشر من سماعها، بحجة أنها حرام، إلا إذا كانت ضرباً على الدفوف .

الموسيقى لدى الماشية غذاء للروح ، ولدى بعض البشر جموح وجنوح . ولو قدر لهؤلاء أن يفرضوا إرادتهم، لأصبح من حق الجماهير العريضة التي تطرب للفن وتتذوقه ، أن تتظاهر مُطالبة بالمساواة مع الماشية في حق طبيعي .

أي مفارقة هذه ، وفي أي زمن ، وعلى يد من ؟.

المفارقة أن هذه الدعاوى ترتفع ونحن على أعتاب عصر مذهل،

---

* نشر في جريدة الأهرام بتاريخ ٣٠ يونيو ١٩٨٨ تحت عنوان " الموسيقى غذاء الروح "، والعنوان من أختيار الأهرام

يتأهب فيه الإنســان لغزو الفضاء ، وحــرب الكواكب ، وإنجازات الهندسة الوراثية . والغريب أن أصحاب هذه الدعاوى لهم حــظ من العلم والثقافة . وأنهم يظنون – وبعض الظن إثم – أنهم ينفذون إرادة الله . الذي خلق العصافر لتشدو ، والطيور لتُغني . والذي أنزل القرآن آية محكمة من الفن ، لغة وأسلوباً وقصصاً ومواعظاً وهدياً . ولو شاء لأنزله مُرسلاً بلا موسيقى في طيات آياته ، وبلا رويّ في نهاياتها ، وبلا أنغام تنبعث من حركات الحروف وسكناتها .

إن قراء القرآن الكريم لا يجدون صعوبة في التغني بآياته . وهم حين يفعلون ذلك، يُخضعون قراءاتهم للسلم الموسيقي ، ويتبعون في ذلك قواعد الغناء . فيختارون مقاماً دون مقام ، ويُدخلون مقاماً على مقام ، وينتقلون من مقام إلى مقام . ولا يُعجزهم أن يفعلوا ذلك في أي سورة يشاءون من بدء القرآن إلى ختامه . بــينما يعجزون، ويعجز غيرهم، أن يفعل مثيلاً لذلك بكتاب رصين ، رغم أن القرآن بالقطع أكثر رصانة . أو مقال جاد، رغم أن القرآن بالطبــع أكثر جدية . أو بحثاً عميقاً ، رغم أن القرآن باليقين أكثر عمقاً . وما كان ذلك كله إلا آية من الله لعباده ، وحــجة مفحَمة على كل من أنكر الموسيقــى ، وأستنكر الغناء، وأعلن العداء للفن . وما أكثر ما سمعنا محمد رفعت ومصطفى أسماعيل والمنشاوي وغيرهم. وما أكثر ما طربت النفس، وأهتز الجسد ، وأنفعل الوجدان ، ووعى العقل ، ونحن نستمع منهم إلى مُحكم الآيات. وما أظن أن أحداً منا قد تصور وهو يفعل هذا كله،

وينفعل بذلك كله، أنه أرتكب حماقة، أو أتى إثماً، أو أقترف معصية. ولا أعتقد أن أحداً منا كان يتوقع ما قرأناه من فتاوى تُحرم الموسيقى إذا أهتز الجسد، وترفض التطريب إذا أنفعلت النفس.

ما الذي حدث لنا في السنوات الأخيرة ؟. وكيف سعينا حثيثاً إلى إنكار العقل أو إهماله ؟. وما الذي دفع البعض إلى البحث في بطون كتب التراث، سعياً وراء حديث آحاد ضعيف هنا أو فتوى فقيه بلا سند هناك ؟. وما الذي جعل الإنكار أقرب كثيراً من القبول، والتأثيم أهون كثيراً من التكريم، والعسر أيسر كثيراً من اليسر ؟. ولماذا يحرص أبناؤنا أشد الحرص على التمسك بالقشور، والتعصب للشكليات، والتعلق بالفروع. حتى أن البعض منهم يدعي أن الإسلام قد أتى بزي، وأنه فيما يرتديه يستن بسنة الرسول الكريم. وعلمنا، وفوق كل ذي علم عليم، أن الرسول لم يأت بزي جديد. وأنه أرتدى زي المقيمين في مكة، وأغلبهم من المشركين. وأنه لم يُغير زيه بعد أن تنزلت عليه الآيات البينات. وأنه أرتدى ما أُهدي له من أزياء رومية أو حبشية أو فارسية بلا حرج. وأنه في ريه كان يقتدي بعصره، تماماً كما نفعل نحن الآن. وأن أغلب الفقهاء قد أفتوا بأن سنة الرسول في الزي والعلاج خاصة بعصره، ولا تنسحب على غيره من العصور. وهو ما يمكن أن يُحمل عليه الكثير من أمور الدنيا في عصره أو عصرنا.

غير أن البعض فيما يبدو يُهمل ذلك كله، ولا يجد حرجاً في

الإفتاء بأن سماع موسيقى بيتهوفن قبل النوم حرام . تاركاً ايانا نضرب كفاً بكف ، ونحن نتساءل عن علة هذا التحريم . وعن مكان هذا الإنسان الوهمي ، الذي تتهيج غرائزه عند سماع بيتهوفن ، ويفسد طبعه إذا أنصت لموتسارت . وما أجدرنا بتساؤل آخر عن سند تحريم ما لم يعرفه عصر الرسول من فنون ، مثل المسرح . ومن آلات مثل الشيللو والكمان والأورج والبيانو . وهل يا تُرى تمتد فتواهم إلى كل ما هو مُتاح وصداح ، فتنطلق القوافل الشعبية بحثاً عن طيور الكناري لذبحها خوفاً من الفتنة ، وإلى خرير الجداول لطمرها تحسباً من الإثارة ، وإلى أبواق السيارات لتدميرها تجنباً لمقدمات الزنى ؟.

لا بأس من كسر إيقاع الإنفعال بقصة قصيرة ، دلالتها خطيرة . قصّتها عليّ صديقة للأسرة ، قادتها المصادفة لزيارة حضانة أطفال تابعة لإحدى شركات توظيف الأموال بمدينة ساحلية . وفوجئت بمديرة الحضانة تُكرم طفلاً في طابور الصباح أمام زملائه، لأنه وهو في طريقه للمدرسة ، وضع قطناً في أذنيه حتى لا يستمع إلى الموسيقى في سيارة والده . وقد نسيت المربية الفاضلة ، أنها تُباهي الأطفال بوحش كاسر في مقبل الأيام . لأن من لا يرق وجدانه، لا تسمو مشاعره . ولأن من لا تعرف الموسيقى طريقاً إلى قلبه ، لن تعرف الرحمة طريقاً إلى سلوكه . ونسيت أيضاً ما هو أهم ، وهو أن الإسلام كما تتشدق هي ، وكما نؤمن نحن ، هو دين الفطرة . وقد

نقلت إلينا جدران كهوف الإنسان البدائي رسوماً وفنوناً . ونقلت لنا حضارات ما قبل ظهور جميع الأديان أناشيد وغناء . ونقلت لنا الكتب السماوية حديث مزامير داود وترانيم الملائكة . وصدق الله العظيم حين دعانا إلى التأمل في آيات الكون . ولو تأمل المعترضون لوجدوا – كما ذكرنا – أن الماشية تطرب للموسيقى فتنتج . وأن الخيل تنفعل بالموسيقى فترقص . وأن الطيور تسبّح لله فتغني . ولأدركوا أن الفن في مُجمله تعبير عن قدرة الله العظيم ، الذي وهبنا الجمال ، ومنحنا الخيال . فكان الفن .

أقول قولي هذا ، والعالم من حولنا مُنشغل كما ذكرنا بحرب الكواكب ، وهندسة الوراثة ، وغزو الفضاء . بينما نحن مُنشغلون عن ذلك كله بتحريم الموسيقى ، وتحريم الغناء ، وطول الجلباب ، وجنس الملائكة . فاللهم رحمتك وغفرانك .

هل هذا معقول ؟

قصة المقال : للسودان الحبيب مكانة في نفسي ، لا تقل عن مكانة مصر . وقد كان هذا واضحاً في كتابي الأول "الوفد والمستقبل" . وكان أوضح في كتابي الثاني "قبل السقوط" . ولعله الآن أكثر وضوحاً . وإذا كان الله قد أبتلاني في مصر بمن ينغصون عليّ عيشي بخلط أوراق السياسة والدين ، فإنه أبتلاني في السودان بآراء حسن الترابي ونوايا الصادق المهدي . والأخير أتى على جناح الديموقراطية ، وأستقبله الشعب بالعناق والترحاب . وكنت شخصياً أحد المؤيدين له والآملين فيه ، عن إقناع بأنه أستوعب درس عهد النميري . بيد أنه أثبت قدرته الخارقة في مجال آخر ، هو مجال المناورات ، وأستهلاك الوقت فيما بين إصدار التصريحات والتراجع عنها ، دون أن يُقدم حلاً لمشكلة واحدة من المشكلات . وهكذا أصبح السودان في عهد الديموقراطية مجرد مجلس (ونسة) كبير ، يتصدره الصادق المهدي ، الذي ينطبق عليه وصف إمريء القيس "مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً " . والمشكلة في لفظ "معاً" ، حيث لا يدري أحد في السودان أو خارجه، ماذا يريد الصادق بالضبط ؟. هل

يريد إلغاء قوانين سبتمبر (الخاصة بالشريعة)، أم يريد الإبقاء عليها ؟. هل يريد حل مشكلة الجنوب ، أم سعى إلى أنفصاله ؟ . هل هو مع الترابي أم ضده ؟ . هل هو مع الأتحاديين أم ضدهم ؟ . وكلها أسئلة حائرة ، أو أراد الصادق لها أن تظل حائرة . والمقال المُرفق مكتوب بعد قراءة تصريح ُنسب للصادق المهدي عن عزمه على تطبيق الشريعة على المسلمين ، وليس على غيرهم . وهو ما تراجع عنه فيما بعد ، وقد كان تراجعه سريعاً إلى الدرجة التي فاقت سرعة كتابة المقال ونشره . حيث فاجأني الأستاذ الكبير محجوب محمد صالح رئيس تحرير جريدة الأيام السودانية بقوله : أنه قد تم التراجع عن ذلك، وأن النية تتجه إلى تطبيق الشريعة في الشمال دون الجنوب . وهي كارثة أخرى أرجو أن ُتتاح لي فرصة التعليق عليها مستقبلاً .

المقال : هل هذا معقول ؟ *

حدثني أبي – أطال الله عمره – عن جدي – رحمه الله – أن مصر عانت كثيراً من الأمتيازات الأجنبية ، التي خصصت للأجانب أمتيازاً خاصاً بهم ، لا يخضعون بموجبه للقوانين المصرية . ورغم أن جدي ومن عاصروه ، كانوا يلتمسون العزاء في أن الأمر خاص بالأجانب ، مقصور عليهم . إلا أن نفوسهم كانت تجد غضاضة في هذا الأزدواج المقيت . وكثيراً أيضاً ما كان رسامو الكاريكاتير

* أرسل إلى جريدة الأيام السودانية ، ولم ينشر لتراجع الحكومة عن القرار قبل النشر .

يستبدلون رسم العدالة التي تحمل ميزاناً في يد وسيفاً في اليد الأخرى ، برسم آخر تحـمل فيه ميزانين ، في كل يد ميزان . وقـد أسـتمر هذا الوضع الغـريب حتى أنتهـى بمعاهدة ١٩٣٦ ، فتنفس المصريون الصعداء .

خطر هذا كله في بالي وأنا أقرأ تصريح رئيس وزراء السودان ، ومضمونه أن قوانين سبتمبر ، الخاصة بتطبـيق الشـريعة وفقـاً لأجتهادات النميري والمكاشفي إلى تعديل، ثم إلى تطبيق. وأن تطبيقها سوف يكون على المسلمين ، وأنها لن تطبق على غير المسلمن . وهو تصريح ظاهره الرحمة وباطنه العذاب . بل إن شئنا الدقـة ظاهره المنطق وباطنه الكارثة .

أما المنطق فالأستدلال عليه يسير ، فمادام البـعض يعض على الشريعة بالنواجذ ، ويرى في تطبيقها أستكمالاً لعقيدته . ومادام البعض الآخر ينهال على تطبيقها بالمآخذ ، ويرى فيه مساساً بعقيدته . فلماذا لا نُرضي هذا وذاك ، فنطبقها على هذا، ونحجب تطبيقها عن ذاك؟. وهو منطق مقبول من الناحية النظرية ، بيد أنه مدخل منطقـي إلى تمزيق عُرى الوطن الواحد ، وإلى ترسيخ الطائفية بدلاً من القضاء عليها . وإلى عديد من المشاكل المعقدة عند التطبيق، لابد وأن تنتهي برفض هذا وأستنكار ذاك . ولعل الميزة الوحيدة لهذا القرار ، تتمثل في أنه قرار فريد ، لم يعرف تاريخ الدول كلها في الماضي والحاضر نظيراً له . فالدولة الواحدة ، لأنها واحدة ، وحتى تستمر واحدة، لابد

وأن يحكمها قانون واحد . بينما يحكمها هنا قانونان . وتواجه الجريمة الواحدة فيها بعقوبتين . ويتميز فيها غير المسلمين على المسلمين بأحتفاظهم بأطرافهم دون قطع . وأمتلاكهم لظهورهم دون جلد . وصيانتهم لأجسادهم دون رجم . بينما يتميز المسلمون بمساهمتهم الخيرية في بنوك الأعضاء . ومشاركتهم الفعالة في تعمير مقابر الفقراء . والمثابرة على الدعاء . أن يقلب الله عاليها على أسفلها ، حتى يتساوى آخرها بأولها .

حسناً ، دعونا ننتقل إلى التفصيلات ..

يسرق أحمد وجرجس منزلاً . فيعاقب أحمد بقطع يده من الرسغ، ويعاقب جرجس بالسجن ستة شهور . ويلعن أحمد ذلك اليوم الذي وُلد فيه مسلماً ، ويوقد جرجس شمعة للعذراء شكراً على نجاته من براثن الإسلام. وينظر أحمد، وكل أحمد ، إلى جرجس ، وكل جرجس، على أنه خواجة ، أو حماية ، أو مواطن شرف .

كيف يستقيم ذلك ، وكيف يستقر ويستمر ، في دولة واحدة ، تتباهى مثلها مثل أي دولة متحضرة ، بالمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ؟.

مثال آخر ..

يُضبط النبيذ لدى محمد في أم درمان ، ولدى ميشيل في بورسودان. فيُجلد أحمد في الميدان ، ويخرج ميشيل مبتسماً في أطمئنان ، بعد أعترافه بأنه نبيذ العهد .

مثال ثالث ..

يرتكب جورج جريمة الزنا مع زوجة جعفر ، فيُحكم عليه بثلاث سنوات . ويرد جعفر الصاع صاعاً ، فيرتكب نفس الجريمة مع زوجة جورج ، فيرجم في ميدان عام .

هل هذا معقول ، بل قبل ذلك كله هل هذا ممكن ؟.

وهل يُصدقني القاريء إذا ذكرت له أنني تصورت الأمر في البداية دعابة . وأنه مجرد تصريح للأستهلاك المحلي . فإذا بي افاجأ بـأنه جد في جد . رغم أنه يؤدي إلى نتائج هي في حقيقتها هزل في هزل ، وكارثة لا أكثر ولا أقل ..

لست أشك في أن المسلمين في السودان يشعرون بالحزن والجزع . ولست أشك أيضاً في أن غير المسلمين في السودان يشعرون بالأسف والخجل . وأخشى ما أخشاه أن تنتقل عدوى هذا القرار إلى غيره من القرارات . حيث الشكل هو المقصود ، وحيث الترضية هي الهدف ، دون حساب للنتائج . فيصدر قرار بتطبيق النظام الرأسمالي على الرأسماليين، والأشتراكية على الأشتراكيين. وتتوالى القرارات على نفس الشاكلة ، ويترتب على كل قرار ألف مشكلة ، ويتحول كل قرار إلى قنبلة . لست أشك في أنها ستنفجر عن قريب ، ولن يسر أنفجارها عدواً ، فما بالك بالحبيب .

وأخيراً ، لست أشك في الدوافع النبيلة لمُصدري التصريح ، ولا

أعتقد أن وراءه شيئاً غير النوايا الطيبة . بيد أنهم يذكرون في الأثر ، أن الطريق إلى جهنم مُعبد بهذه النوايا . ويقيني أن مشاكل السودان أعقد بكثير من جزئية تطبيق الشريعة ، وهل تطبق على هذا وذاك ، أم تطبق على هذا دون ذاك ؟. بل إن يقيني أن مثل هذا النقاش لا يزيد عن كونه تلهية ، وهو في النهاية رفاهية ، لا تليق بشعب يطحنه السعي إلى ضروريات الحياة . وليس منطقياً أبداً أن ترتفع أسعار الضروريات إلى هذا الحد ، ويرخص الإنسان في نفس الوقت إلى هذا الحد.

تحية إلى حسن الترابي

قصة المقال : لم أحزن في حياتي لعدم نشر مقال ، كما حـــزنت لعدم نشر هذا المقال . أو قل هذه المقامة ، التي أملتها عليّ مشاعري نحو هذا الرجل الذي لم ألتق به ، وأدعو الله أن لا ألتقي به يوماً .

لقد حل من بـــايع النميري على قـــرارات سبتمبـــر ضيفاً على القاهرة، وأستقبله البعض بالترحيب . وكان بودي أن يقرأ هذا المقال، حتى يعلم أن هناك من يعد الدقائق، حتى يطمئن إلى مغادرته لأرض القاهرة . وحتى يعلم أن سعيه إلى إراقة الدماء ، وتمزيق الأشلاء ، لم يضع سدى . وأن حسابه لن يكون فقط في الآخرة ، وإنما ســـوف يلقى بعضه في الدنيا ، جزاءً وفاقاً على إساءته للحضارة ، ولحقوق الإنسان ، وللوجه الحضاري للســـودان . وقبـــل ذلك كله للإســـلام الحنيف ، الذي تحول على يديه إلى إسلام عنيف . يعرف القطع قبل الشبع . ويبرر لحـــاكم مثل النميري أن يعلق معارضيه على أعواد المشانق . وأن يجمع النظارة ليس لمشاهدة فرقه مسرحية، أو الأستماع إلى أوبرا أو أوبريت . وإنما لمشاهدة قطع الأيدي والأرجل في ساحة سجن كوبر .

حسناً .. كانت المناسبة هي حضور الترابي إلى القاهرة . وكان

الرفض من جريدة الأهالي لنشر المقال لكونه عنيفا من وجهة نظرهم، رغم أنه في اعتقادي أرق ما قدرت عليه. وليعذرني القراء في ذلك .

المقال : تحية إلى حسن الترابي *

مرحبا بك في مصر يا ترابي . فلعلك رأيت المصريين ، قوما أمنين ، أصحاء كاملين . فلا أيد مقطوعة ، ولا أذرع منزوعة ، ولا سيقان مخلوعة . ولعلك أستنكرت هذه التجاوزات الشنيعة . ولعلك ضربت كفا بكف متسائلا عن تطبيق الشريعة . ولعله يجدر بنا أن نعتذر إليك . فما كل من ركب الحصان خيال . ولا كل من فوق التراب (ترابي) . ولا كل من فهم الإسلام سفاح . ولا كل قلب ُقدَّ من حجر مثل قلبك . ومعذرة، فنحن ملوثون بالحضارة يا سيدي . تنفعل قلوبنا لمرأى المصلوبين . وترتج مشاعرنا لصراخ المجلودين. ويُغشى علينا كما غُشى عليك في ساحات القطع . ويطفر الدمع من عيوننا على مصير المقطوعين . ونرى الإسلام سمحا شديد السماحة . ونرى مأساته في جمود المجتهدين ، وأجتهاد الجامدين . وفي الخلط بين هوى الحكم وأحكام الدين .

مرحبا بك يا رجل ..

فلعلك قرأت في صحفنا أن رئيسنا منتخب ، وليس إماما يُبايعه أهل الحجة من امثالك . ولعلك أنكرت عليه ، أن يتجاوز شروط

* أرسل لجريدة الاهالي ولم ينشر .

الإمامة المرعية . ولعلك أنكرت عليه الشرعية . ولعلك فزعت حين جلست إليه ، فلم تر سيفا ولا نطعا . ولعلك بحثت دون جدوى عن مسرور ، وربما تعجبت لهذا القصور . وربما فسرته بكرم الضيافة. وبالبون الساشع بين الرئاسة والخلافة . وربما ترحمت على أبي العباس السفاح ، وأبي جعفر المنصور ، وأبي جعفر النميري . ولعلك أستنكرت عليه سماحه بمجلس للشعب ، ينتخبه الشعب . بينما أمامه نظريات الفقه الإسلامي ، التي أفرزتها عصور الدولة العباسية، والتي تسمح بمجالس الشورى (الأستشارية) . تلك التي يختارها الإمام ، ويرأسها الإمام ، ويحلها الإمام ، ويؤمها الإمام ، ويتجاوز فتواها وحسابه على خالق الأنام . غير عابيء بأن يُصبح في نظر العالم المتحضر اضحوكة، وأن يصفه المتفرنجون من أمثالنا بأنه إرهابي.

مرحباً بك يا ترابي .. مرحباً بك في مصر .

فلعلك رأيت حين دعاك إبراهيم شكري إلى نادي الجزيرة ، فتيانا وفتيات يتجاذبون الحديث في الأدب والثقافة ، والسياسة ، والعلم والفلسفة والفن . ولعلك بحثت بين الشاب والفتاة عن ثالث فلم تجد . أو عن خيط تمرره بينهما فمنعك الخجل .

مرحباً بك يا رجل .. فلعلك ضربت كفا بكف ، وأنت تقارن بين شبابنا وبين الأقرع وحابس وحنظلة . وبين فتياتنا وبين الخنساء والعمشاء والعوراء . ولعلك تذكرت فاطمة حسن صالح ، ونوال

محجوب حامد ، وجلدهما بتهمة الشـروع في الزنا (؟) تأكيدا على عين الشريعة الساهرة .

مرحباً بك في القاهرة .. فلعلك تساءلت في ميدان التحـرير عن ساحة القطع . ولعلك زرت فيه الطامة الكبرى ، أقـصد المتحـف المصري . ذلك الذي ترتفع في ساحته الأصنام ، ويحتفل فيه شعبنا بذكرى الفراعين ، الكفرة الملاعين . بينما أمثالك من الغُر الميامين، لا يأبه بهم أحد ، ولا يحتفل بهم أحد . ولولا أنك في بلد يحـكمه ذلك الطاغوت ، المسمى بالقانون ، لانهلت على تلك الأصنام تحـطيماً . حتى تسعى الجماهير إليك ، وتشدُ على يديك . وحتماً كنت ستفعل ، لولا ذلك القانون ، أقصد ذلك الوثن .

مرحباً بك يا حسن .. فلعلك وأنت في طريقك من التحـرير إلى رمسيس ، أمعنت النظر كثيراً في دار القـضاء العالي ، وتعجبـت لوجود القضاء والقضاة، وعدم أستبدالهما بالقضاء والقدر .

مرحباً بك يا ترابـي .. ولولا ضرورات العصر ، ولولا أننا في مصر ، لفرشـنا لك الأرض أرجلا وأيادي . ويكفينا أنك أنرت لنا السبيل في محاضرتك الساحرة بنادي هيئة تدريس جامعة القاهرة ، حين حدثتنا عن حل مشكلة الجنوب . وكيف أنك ترى حـلها في يد سوار الذهب ، الذي يقود مجموعة تدعو ملايينهم إلى الإسلام.

ويا سلام .. ما أروع فكرك ، وما أوسع أفقك ، وما أشحذ قريحتك، وما أخصب خيالك . وما أجدرنا أن نقتدي بك ، فنحل مشـكلة الفتنة

الطائفية في بلادنا بأسلمه الأقباط . ونحل مشكلة إسرائيل بدعوة شامير إلى أعتناق الإسلام . ولماذا حقاً لا يُرسل مبارك إلى ريجان وجورباتشوف رسالة يُقرئهما فيها السلام، ويأمرهما فيها بالإسلام .

يا سلام ؟.

مرحبا بك لأنك ضيف . ولولا ذلك لصارحتك بأنني أفزع لرؤية وجهك الحقود ، وجبينك المعقود ، وطريقك المسدود . لكنك ضيف على كل حال . وحتى لو كان الضيف ثقيلاً ، فمصيره إلى ترحال . ولعلي قبل أن أتركك في سلام، أغفر لك أي شيء إلا أن تُسيء إلى الإسلام. وعساك تستقر في بلادك ، وتستمر بعيداً عنا في جهادك ، حتى يزول عنا الضيق والحَزَنْ .

مرحباً بك يا حَسَنْ ..

تعقيب لطيف على بيان سخيف

قصة المقال : هذا مقال أحدث ضجة في السودان ، عندما نشرته جريدة الأيام السودانية ، يوم ٦ إبريل ١٩٨٨ . وانبــرى له الدكتور حيدر إبراهيم علي مدافعا ومؤيدا، بمقال عنوانه "هل العلمانية تهمة ؟" بتاريخ ١٨ إبريل ١٩٨٨ . ثم أتى رد هيئة علماء الســودان في صورة مقال عنوانه " الإسلام باقٍ بإرادة الله وجهاد المؤمنين "للأستاذ أحمد عبد السلام أحمد من هيئة إحياء النشاط الإسلامي، بتاريخ ٢٢ إبريل ١٩٨٨ . الذي عقب مرة أخرى على مقال الدكتور حيدر بمقال عنوانه " العلمانية تهمة تعادل الكفر بالنسبة للمســلم " بــتاريخ ٢٧ أبــريل ١٩٨٨ . وجميع المقالات منشورة بجريدة الأيام . وقد كان بودي أن أنشر جمع التعقيبــات ، خاصة مقــال الدكتور حــيدر ، لولا ضيق المساحة . فأكتفيت بنشر الرد الذي تناولني في الملاحق (ملحق رقم ٤) . ونعود إلى قصة المقال ..

لقد تلقيت خطابا رقيقاً من الأستاذ زكريا حامد ، الصحفي السوداني الذي أتمنى أن أتعرف به شخصيا يوماً من الأيام . وقد أرفق الأستاذ زكريا بخطابه بياناً أصدرته جماعة ُتسمي نفسها "هيئة كبار العلماء

في السودان " . والمقال يُقرأ من عنوانه كما يقولون ، وقد كان عنوان المقال "الإسلام باق وشريعته ماضية، ولو كره بابا الفاتيكان". وكان واضحاً من العنوان أن بابا الفاتيكان قد أقحم في البيان إقحاماً . وأن هدف إقحامه هو أستفزاز النعرات الدينية في نفوس البسطاء ، ومصارعة طواحين الهواء . تماماً كما فعل دون كيشوت في رواية سرفانتس الشهيرة . وبمجرد البدء في قراءة البيان، تناوبتني مشاعر العجب والدهشة . فها هو الحديث المُعاد منذ أيام النميري عن البركة التي ستحل ، والجنان التي ستثمر . بشرط وحيد بسيط، وهو أن يُسلم الشعب ظهره للجلاد ، وأياديه لمحترفي القطع ، ورأسه لأفكار محترفي المبايعات، ومستقبله لمن يسيرون للوراء . وسوف يرى أيضاً كيف كان ردهم متراوحاً بين فكرتين أساسيتين، أولهما نُصحي بالتخصص في الزراعة . وثانيتهما سؤالي عما سأفعله يوم القيامة عندما أقف بين يدي خالقي . وقد فكرت أن أرد على التساؤل الأخير بمقال عنوانه " وأنت مالك يا زول" . بيد أني راجعت نفسي ، فما دام المقال قد نُشر ، والردود قد نُشرت، فقد أصبحت الحقيقة كاملة أمام القاريء . وما عليه إلا أن يختار ، والعقل بين ، والنقل بين ، ومستقبل السودان هو القصد .

المقال : تعقيب لطيف على بيان سخيف *

---

* نشر في جريدة الأيام السودانية بتاريخ ٦ أبريل ١٩٨٨ تحت عنوان " الدكتور فرج فودة يكتب للأيام من القاهرة معقباً على بيان هيئة علماء السودان " .

قرأت بياناً أصدرته هيئة علماء السودان عنوانه " الإسلام باقٍ وشريعته ماضية، وإن كره بابا الفاتيكان" وهو بيان يستحق التعقيب، دون أعتبار لما يُثيره البعض من كون الأمر هماً سودانياً ، لا يليق بمثلي أن يتدخل فيه . فالسودان مني وأنا منه . وما أشتكى جنوب الوادي يوماً ، إلا وتداعى له سائر الشمال بالسهر والحمى .

أما إن الإسلام باقٍ ، فهذه إرادة الله لا العلماء . وأما أن شريعته ماضية ، فأمر يستحق التوقف والتأمل . فللشريعة شروطها ، ولتطبيقها مناخه . وتجربة السودان القريبة من عهد " الإمام النميري" دليل على أن شريعة الرحمة ، يُمكن أن تتحول إلى سوط في يد الجلاد ، وسيف بتار في يد غلاظ الأكباد . لا يُغني عن ذلك الحديث عن البركة ، ذلك الذي ورد في ثنايا البيان . وأثبتت قدرة الله عكسه ، حين هلت على السودان بشائر المجاعة ، جزاءً وفاقاً على أفعال من خلت قلوبهم من الرحمة ، وهي جوهر الإسلام . ومن قصرت عقولهم عن الإجتهاد ، وركنوا للنقل قبل العقل ، وقادتهم ساديتهم إلى القطع قبل الشبع .

ما بالهم صمتوا أمام جفاف السماء ، بعد أن وعدونا بالسيول ؟. وأمام تشقق الأرض ، بعد أن وعدونا بالجنان ؟. وأمام خلع الإمام أستجابة لغضبة الشعب ، بعد أن بايعوه مدى الحياة ، وعاهدوه على السمع والطاعة؟. فجازته وجازتهم السماء بالمجاعة. وما ضَرني أن يُهاجم البعض بابا الفاتيكان ، ما ضرني هذا أبداً ، لكن الضُر فيما

ورد في ثنايا البيان ..

أول ما ورد في سطور البيان ، تسميتهم لأنفسهم بـهيئة علماء السودان . ولست أدري أي سند من القرآن أو السنة ، ركنوا إليه في تشكيل الهيئة أو إطلاق الإسم الرنان عليها . فالإسلام لا يعرف واسطة بين الله وعباده . وهو لا يعرف كهنوتاً ، لكنهم يعرفونه . وليس فيه كنيسة ، لكنهم يقيمونها . والعالِم في عصور نهضة الإسلام عامل يكسب من كد يده ، وليس من أدعاء أنه حامي حمى العقيدة . ويربح من تجارته أو صناعته ، وليس من ميزانية الدولة ، التي ينعت أموالها بأنها ربوية ، والتي فيها حق للسائلين والمحرومين والأيتام . وهم بحمد الله ليسوا من هؤلاء في شيء ، ولا يزيدون لدينا عن كونهم "شيء" . أبتدعه الفاطميون، فساد ، وأستمرأه الأحفاد . فناصروا النميري ومن على شاكلته وأذلوا العباد ، ومزقوا البلاد ، وأكثروا فيها الفساد . فحقت كلمة ربك عليهم ، إن ربك لبالمرصاد .

أما ثاني ما ورد في البيان ، فهو قولهم " وبالإسلام تتحقق البركة في المعاش وبسط الأرزاق " . وهو قول له خبيء . فهم لا يقصدون الإسلام ، وإنما يقصدون الحكم بالإسلام . وما كان الحكم بالإسلام ركناً من أركانه ، إلا لدى من يلوون أعناق النصوص ، ومن يصدق عليهم قول الإمام عليّ " الإسلام حمال أوجه " . وهو قول أثبتت حوادث التاريخ صحته ، وفي عهد الإمام عليّ نفسه ، حين أتهمه البعض بالكفر ، وبرروا أغتياله بالفتوى . ثم أغتالوه ظناً منهم أن

ذلك أقصر الطرق إلى الجنان ، ورضا الرحمن .

وعهدي أن الإسلام في السودان بخير ، وأن شعائره تقـام ، وأنه في حنايا الضلوع . وأنه من قبـل ظهور المتاجرين بـه ، مُحـاط بالتبجيل والتكريم والخشوع . بيد أن إقحـامه فيما ليس من شـأنه ، جهل وتجهيل . وأستهانة بالعقول بلا دليل . وما أجدر من يتاجرون بشعار البركة، أن يرجُعوا البصر في العالم، فيرتد البـصر خاسـئاً وهو حسير . حين يرونها تحل في الولايات المتحدة الأمريكية ، وتنزل أهلاً في الأقطار الأوروبية، وتمرح سهلاً في أعتى قلاع الشيوعية ، وتتقافز طرباً في اليابان البوذية . بينما نلتمسـها نحـن فلا نجدها . ونبحـث عنها فتعز علينا . ونغازلها فتأبـى . وندعوها فتراوغ . ونخطب ودها فتفر . ولا علاقة لذلك كله بالإسـلام ، فالساحـة غير الساحة ، ورحمة الله أعز من أن تعم من ينكرون على دينه السماحة . ولا يرون فيه إلا تمزيقاً للأشلاء ، وسباحة في الدماء . ولقد أعز الله الغرب بنيوتن ورايت ولافوازييه وباستير، لأنهم يأخذون بالأسباب . وأبتلانا بأقوام آخرين، **بالنميري والمكاشفي والترابي** *، لأننا لا ُنلقي بالاً لتخمتهم ، وهم يحدثوننا عن الزهد . ولا لأمتلاء جيوبـهم، وهم يمتدحون الخصاصة. وبينما أهلك علماء الغرب أنفسهم في سبـاق الفضـاء ، أهلك علماؤنا أنفسهم فـي قضـايا أخرى ، مثـل آداب

* الكلمات بالحروف الثقيلة وردت في أصل المقال ، ولم ترد عند نشره .

الإستنجاء ، والدعوة لقضاء الحاجة في الخلاء ، وفرق بين هلاك معز وهلاك مذل . وإن شئت قل ، فرق بين من يأخذ بيد الكل ، وبين من يطلب الإجتهاد فيكل . ومن يسعى وراء ظاهر النص وليس جوهره، فيَضل ويُضل . أيحسب هؤلاء أن البركة تحل سُدى ، وأن بيدهم مفاتيح المأوى ، وأن إفكهم هدى ، وأن عبثهم سيبقى ، ثم يرتفع سامقاً . وأن لهم الآخرة والأولى ، واليد الطولى ، وإننا لأوهامهم ُتبَّع . وأنهم يتلقون إلهامهم من فوق سماوات سبع ، سبحانه وتعالى حين قدر ، وأعلى قوماً لأنهم أقدر ، وما كان لنا أن نتحجج بأنه قدر . أو نتبجح بأنه ابتلانا دون الأولى، وأن ابتلاءه رضا عنا ، وغضبه كرامة لنا . ألا ساء ما يحكمون .

لهم أن يعلموا ، إن كانوا لا يعلمون ، أن دعوتهم للحكم الديني سوف تكون سبباً في أنفصال الجنوب . وأن العصر لم يعد عصر إجبار فريق على الأنصياع لعقيدة فريق . وإن للإسلام روحاً وجوهراً يسبقان النص . وهما المدخل الوحيد لفهمه . وتوقيت تطبيقه ، أو تأجيل تطبيقه . ولولا ضيق المساحة، لفصّلنا لهم ما فعله عمر ، وكيف أجتهد حيث قعدوا ، وغاص في روح النص حيث توقفوا عند ظاهره . ولعله لو عاصرهم لأنكروه . ولو فعل ما فعل في عصرهم لأتهموه . وليتهم يُدركون أن العمل في ميزان الإسلام الصحيح ، أفضل من الأعتكاف . وأن الرحمة والتكافل ، يسبقان السياف . وأن حل مشكلة الجنوب لا يكون بأسلمة أهله ، ولا بفرض

الشريعة على من لا يدينون بها . و لا بأفتعال المعارك مع البابا و غير البابا . و لا بالتلاعب بعواطف السودانيين من مدخل تسييس الدين .

ويا سودادننا الحبيب .. لك من عاشق شمالي حب بـــلا حـــدود ، وعشق لا يعترف بالحدود ، وقـــلم لا أظن أن كلماته ســـوف تضيع سدى .

ثلاثية الشيخ صلاح

قصة المقال : هذه ثلاثة مقالات ، جميعها عن واقـــعة محـــددة ، بطلها الشيخ صلاح أبو أسماعيل ، الذي أغروه بي وقـت أن كنا في حزب الوفد معاً . وكان هو أسماً لامعاً ، وكنت أسماً مغموراً . ولعل هذا ما أغراه . فهاجمني بحدة ، فرددت عليه بشـــدة . ولعلي كنت – ومازلت – أسعد الناس بـــخصومته ، وأحـــرص الناس عليها . فما أوضح أخطاء الرجل، وما أكثرها . وما أبعد الشقة بين ما يدعو إليه، وما ينغمس فيه من قمة رأســـه إلى إخمص قـــدميه . وســـوف يجد القاريء في المقال الأول الذي نشـــرته الأخبـــار ، أنه رد علي ردا مبهماً، أنكر فيه كثيراً مما ذكرت . فكان أن فاجأته بما لم يحســـب له حساباً، وهو الوثائق ، في مقال تال نشرته الأخبار أيضاً . نصحـــته فيه بالسكوت وإلا نشرت ما هو أكثر . فلما سكت ، داعبني شـــيطان المداعبة، فكتبت المقال الثالث " الســـكوت علامة الرضا " ، الذي لم تنشره الأخبار .

أطرف ما في الأمر أن المدافعين عن الشـــيخ صلاح ، تجاهلوا

الأتهامات تماماً ، وركزوا على نقطة واحـــدة . وهي أن حـــصولي على الوثائق يقطع بصلتي بأجهزة الأمن . ولعلها فرصة أن أوضح لهم كيفية حصولي على المستندات . فقـــد شـــاء حـــظي ، والله هو الموفق بالطبع ، أن يُشكل المساهمون في شركة الهلال مجلس إدارة مؤقت لمتابـــعة أعمالهم وأموالهم . وأختاروا لرئاســـته صديقـــي الدكتور محمد كامل ريحان ، أستاذ الأقتصاد الزراعي ، والمشرف عليّ في رســـالة الماجســـتير . ومن هنا توافرت أمامي المعلومات والمستندات والوثائق . وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى ، (والا ايه) يا شيخ صلاح ..

المقال الأول : يا شيخنا الجليل إياك والقضاء *

نشر فضيلة الشيخ صلاح أبو إسماعيل في جريدة الوفد ، مقـــالاً مضمونه نفي حصوله على خمسين ألف جنيه من آل الريان ، ليست من حقه . وذكر أنه ينوي اللجوء للقضاء أنتصافاً من وزير الداخلية، الذي أعلن ذلك. ولما كان الدين النصيحة، فإني أكتب إليه، متمنياً عليه، بل ومتوسلاً إليه، أن لا يفعل. لأن الحق للأسف الشديد ليس معه، بل مع الوزير . ولأن ما خطه قـــلمه يُثبـــت دعوى الوزير . ويُثير من القضايا الفقهية والفكرية ما يثير ..

إن القصة التي ذكرها الشيخ صلاح بـــأختصار ، أنه أودع مائتي

---

* نشر في جريدة الأخبار بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٨٨ .

ألف جنيه مصري من أرباحه (في الخارج) في شـــركة الهلال . ثم سحب منها مائة ألف وبقيت مائة . ثم أفلس صاحب شـــركة الهلال، وهرب إلى الخارج . وأعلن الريان عن عزمه على شـــرائها . وهنا تقدم إليه الشيخ الجليل ، وحصل منه على المائة ألف التي تخصه .

وتعقيبنا نوجزه فيما يلي ..

أولاً : منذ هرب صاحب شركة الهلال وحتى لحظة كتابـــة هذا المقال ، لم يحصل مودع واحد في الشركة على أمواله أو جزء منها. وبعض المودعين أو المقرضين لهم قصص ومآســـي يشـــيب من هولها الغراب . وبعضهم شهير ، مثل لاعب الكرة محمود الخطيب . والجميع مشـــتركون في هم واحـــد ، وهو أنهم منذ هروب الرجل وحتى الآن، لم يحصلوا على مليم واحد من أموالهم . والوحيد الذي حصل على أمواله (على داير المليم) هو شـــيخنا الجليل . ولســـت أدري، هل يعتبر أستغلال المكانة أو الأسم أو الصفة في حالة الغرم، غنماً للرجل، أم غرماً للمودعين، أم حلالاً أم حراماً، أم أمراً مشتبهاً ؟.

ثانياً : أعلن الريان قبل الشراء ، أن المودعين سوف يحـــصلون على ثلثي أموالهم . ثم عاد وأعلن عند الشراء ، أنهم سوف يحصلون على نصف أموالهم وعلى مدى عامين . ولما كان رصيد الشيخ صلاح بالشركة مائة ألف ، فإن ما يستحقه هو خمسون ألفاً يحـــصل عليها على عامين . وحيث أنه حصل على المائة ألف كاملة ، فإن ذلك يعني أنه حصل على خمسين ألفاً زائدة دون وجه حق . وهو نفس ما ذكره

ثالثاً : الحقيقة التي تجاهلها الشيخ صلاح ، أن الريان لم يشـــتر الهلال بعد . وأن كل ما حدث هو أتفاق على الشراء ، ودفع لمقـــدم الثمن (مليونين من الجنيهات). ثم حدث ما حدث، ولم يكتمل الشراء، ولم يدفع الريان باقي الثمن المتفق عليه في الأوقات التي حـــددها . وعليه يصُبح الشراء بـــاطلاً ، وتُصبـــح تصرفات الريان في أمور الهلال باطلة. ويصبح المبلغ الذي أعطاه الريان للشيخ صلاح ، وهو مائة ألف جنيه، أمانة في عنقه لابد وأن يردها للمُودعين في شـــركة الريان. وعليه أن ينتظر تصفية أموال شركة الهلال ، ووقتها يحصل على حقه مع غيره من المودعين أو المقرضين ، متحملاً نصيبـــه في قسمة الغرماء .

رابعاً : ما بال الشـــيخ صلاح يُخالف ما يدعونا إليه من إصلاح للدنيا بالدين . وقمة هذا الإصلاح في رأيه ، يتمثل في النأي بالأموال عن شبهات ربا البنوك . وأستثمارها إسلامياً ، حيث المشـــاركة في الغنم والغرم ، أي في الربح والخسارة . ما بـــاله (وهو الصادق مع نفسه دائماً) ينأى بأمواله بـــعيداً عن الخســـارة في أول تجربـــة ، وينزهها عن النقصان في أول أســـتثمار . بـــينما المطلوب منه أن يُعطي المثل ولو على نفسه ، وأن يكون أول السابقـــين إلى تطبـــيق القاعدة . ولو فعل هو وأمثاله غير ذلك أو عكس ذلك ، لوجدنا عذراً للشباب المتطرف في تطرفه ، متمثلاً في أفتقاد القـــدوة ، وتناقـــض أقوال " الأئمة " مع فعالهم.

خامساً : ذكر الشيخ صلاح في مقـــاله أن المائتي ألف جنيه التي أودعها في الهلال ، كانت من (أرباحـــه) نتيجة التوعية الدينية في الخارج . وهو نفس ما ذكره بالنسبة لسيارته المرسيدس الحديثة في حديث سابق . وليس فيما ذكره أي مدعاة للأنتقاد ، بـــل لعل فيه ما يستحق التقدير . ذلك لأنه أحترم من يُقدر علمه ، ولا يبيعه أو يُذيعه بثمن بخس ، بل ويغالي أحياناً أحتراما منه لنفسه ولعلمه ولقـــيمته . بيد أنه من المتيقن أنه حصل على أمواله بالعملة الصعبـــة ديناراً أو ريالا ، ثم أودعها بالجنيه المصري . فهل يا ترى حولها في المصارف الرسمية ، أم قايضها مع تجار العملة ، أستناداً إلى فتوى بحل تجارة العملة رغم تجريمها قانوناً ؟. وهل فعله هذا بمقايس الدين الصحيح حلال أم حرام ، ليس في رأيه فقط بل في رأي فقهائنا الأجلاء ؟.

ما سبق لا يزيد عن كونه خواطر سريعة ، كتبـــتها على عجل ، حتى أناشد شيخنا الجليل أن لا يرفع الأمر إلى القضاء ، لأنه سوف يخسر ، ونخسر معه مكانة رفيعة في الزهد والتقوى ، وأسما يُقـــدره جيراننا حق قدره ، وعلماً يُمثل مورداً من موارد العملات الصعبـــة لخزائننا الفقيرة ، وإماماً مناضلاً عن صحيح الدين في الخليج .

هداه الله وإيانا سواء السبيل ، وغفر له ولنا وللمسلمين .

المقال الثاني : بالوثائق يا مولانا *

حزين أنا للموقف الذي وضعني فيه الشيخ صلاح أبو أسماعيل ، حين أنكر ما نشرته عنه في مقال "يا شيخنا الجليل إياك والقضاء" . ومبعث حزني هو اضطراري لنشر الوثائق التي تدينُه بإنكار الحقائق ، وتضعه أمام الرأي العام في موقف لا يُحسد عليه . فهو إن أنكر الحقيقة، دمغته الوثيقة. وإن هتف بمقولته : تعالوا نصلح الدنيا بالدين ، أدانته فِعال هي بالدنيا ألصق ما تكون ، وعن الدين أبعد ما تكون. وإن أعلن في محاكمة الناجين من النار عن كفر من أنكر معلوماً من الدين بالضررة ، وجد نفسه في موقف من خالف مفهوماً من الدين بالضرورة . وإن دعا في مواعظه إلى التأسيّ بمن كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . وجد نفسه بعد حديث الوثائق مؤثراً لنفسه على من بهم خصاصة . بيد أن عزائي فيما سأذكره أن تصرفات الشيخ ليست حجة على الإسلام ، ولا على علمائه الأفاضل، ولا على نظرائه ممن يخلطون أوراق السياسة والإقتصاد والدين ..

الآلاف التي ضلت الطريق

اعترضت على حصول الشيخ على مُجمل إيداعاته في الهلال بعد إفلاسها ، من أحمد الريان، بعد عزمه على شراء الشركة، مستنداً إلى إعلان الأخير عن رد نصف الإيداعات. ثم إعلانه بعدها عن رد الثلثين . ورد الشيخ مؤكداً أن هذه التقديرات كانت قبل تقييم أصول الشركة في قبرص ، ذلك التقييم الذي كفل له وللمودعين أن يحصلوا على أموالهم كاملة . ولا عبرة بحديثي، ولا بحديث الشيخ الجليل،

* نشر في جريدة الأخبار، بتاريخ ٢ يناير ١٩٨٩ .

ولا بتصريحات الريان أمام الوثائق التالية :

١- الوثيقة الأولى

قبل تقييم أصول قبرص ، بتاريخ ١/ ٤/ ١٩٨٨ ، توضح الأتفاق الذي تم بين أحمد الريان والمودعين على شراء شركة الهلال بشيكات قيمتها ٣ر١٤ مليون جنيه تعادل (كما ورد بالأتفاق) ٣٥% من قيمة الإيداعات ، مضافاً إليها قيمة الأرباح من ١/ ٤/ ١٩٨٨ . على أن يبدأ سداد الشيكات من ١٥/ ١٠/ ١٩٨٨ . وإجمالي المدفوع متضمناً الأرباح يُمثل ٤٠% من قيمة الإيداعات.

٢- الوثيقة الثانية

توضح الموقف بعد تقييم أصول قبرص ، وفيها تم الأتفاق على رد ما قيمته ٢٥% من الإيداعات، وذلك في ٣/ ٨/ ١٩٨٨. وبالجمع بين الوثيقتين، يتضح أن إجمالي ما تم الإتفاق عليه – شاملاً أصول قبرص – هو سداد ٦٥% من الإيداعات. وذلك على أقساط تبدأ من ١٥/ ١٠/ ١٩٨٨ .

بينما حصل الشيخ على أمواله، وهي مائة ألف جنيه، نقداً وعداً ، كاملة غير منقوصة ، وقبل أستحقاق الدفع بشهور، متضمنة خمسة وستين ألفاً هي حقه المؤجل ، وخمسة وثلاثين ألفاً ضلت طريقها إلى جيبه الكريم . بينما طريقها الصحيح هو الوفاء بحقوق صغار المودعين. وبعضهم يتامى، وبعضهم أرامل، وبعضهم لا مورد له إلا ذلك المال الذي ضاع بعضه بين الهلال والريان والشيخ .

لا خلاف حول دعوة الإسلام إلى المساواة وإلى التكافل وإلى المشاركة في الغرم والغنم . ولا خلاف حول أن محك هذه القيم هو التجربة العملية ، وليس الحديث المعسول ، والخطب المسموعة ، والمقالات المسجوعة . وليقارن القارئ بين ثلاثة أمور : أولها أقوال الشيخ ، وثانيها فعال الشيخ ، وثالثها ما تكشفه الوثائق الواضحة.

لقد ألح المودعون في الهلال على الريان ، أن يصرف لهم أي شيء من أموالهم لحين استحقاق شيكات الدفع . ووافق الريان على أن يصرف لهم ١% (واحد في المئة) من أموالهم بشيك ُتوضح مضمونه الوثيقة رقم (٣) ، وهي إجمالي ما حصل عليه المودعون في الهلال حتى الآن .

واحد في المئة يا مولانا الجليل . وإذا طبقنا ذلك على إيداعاتك وهي مائة ألف ، فإن مقدار ما تحصل عليه إذا تساويت مع إخوتك من المودعين هو ألف جنيه لا أكثر ولا أقل . بينما حصلت أنت على المائة ألف كاملة. وفيها خمسة وثلاثون ألفاً لا نرضاها لك، وإن رضيتها لنفسك . وأربعة وستون ألفا تميزت بها عن غيرك ، وحصلت عليها وحدك ، وقبل الهنا بسنة كما يقولون . وهو عين ما ذكرناه لك وأنكرته ، من أنك غنمت وقت غرم الآخرين ، رغم شعارك وأشعارك عن تميز المشاركة عن فوائد البنوك . وكيف أنها غنم وقت الغنم ، وغرم وقت الغرم . وإن كانت فتواك الدينية قد أباحت

لك ما أبحت لنفسك ، فأنا مستعد أن أحـــتكم معك إلى من تختار من الفقهاء ، لنسأله عن حكم الدين في هذا السلوك . ذلك لأن الحلال بين يا مولانا ، والحرام أبين .

وهناك ما هو اكثر

ونقصد به الأمر العسكري رقم (٤)، والذي ألغى كافة التعاملات مع شركة الريان ، والتي تمت من يناير ١٩٨٨ . ومن بينها يقيناً ذلك التعامل الذي تم معك بعد ذلك بأكثر من أربـــعة شـــهور . وعليه يا مولانا ، فأنت مطالب بأن ترد المائة ألف كاملة لهيئة ســـوق المال ، لحين التصرف في أموال الشركتين ، الريان والهلال ، بـــما يُرضي الله ، ويُحق الحق .

وليس لنا في النهاية إلا أن نضرب صفحا عن ذكر حقـــائق أخرى، وعرض وثائق أخرى ، ونقل شـــهادة آخرين عن سبـــب رد الريان لأموالك . فلربما أخذتك العزة بالنفس ، وحاولت الرد من جديد.

وتبقى كلمة اخيرة

وهي نــــداء مني إلى ضمير الرجـــل ، أن يُدرك أن الدنيـــا متاع الغرور ، وأن الأموال زائلة ، وأن الباقيات الصالحات خير وأبقى . وأن مكانته الدينية أكبر بكثير من آلاف، ولو كانت بالمئات ، ربحها

(كما ذكر) من الإعلام في دول شقيقة . وذهب بعضها (عندما أفلست شركة الهلال) على حد قوله في مقاله بجريدة معارضة . ولعل بعضها يبقى له حلالاً مباركاً . ولعله يتذكر معنا حديث الرسول إلى عبد الرحمن بن عوف ، وكيف أثقلت ثروته خطاه إلى الجنة ، وهو أحد كبار الصحابة . ولعله يتأسى معنا بزهد علي ، وتقشف أبي ذر ، وفقر عمار . ولعله يتذكر معنا كيف كان الرسول لا يشبع من أكل خبز الشعير يومين متتاليين . وكيف أسود لون جلد عمر من أكل الخبز بالزيت . وكيف ، وهذا هو المهم ، كان أجدر به أن يصمت فنصمت. ويكف فنكف. أغنانا الله وأغناه عن زينة الدنيا، وحقوق الآخرين، وأموال صغار المودعين. ووقانا شر المُكابرة في الحق ، والأمر لله من قبل ومن بعد ، والتصرف لهيئة سوق المال .

المقال الثالث : السكوت علامة الرضا *

السكوت علامة الرضا . وقد سكت الشيخ صلاح أبو أسماعيل، متجاهلاً ما عرضناه من حقائق ، وما نشرناه من وثائق . وما كان له إلا أن يسكت . فالغرم على غيره من المودعين، وليس عليه . والنقود كاملة بحمد الله بين يديه . والناس في مصر تنسى بعد حين ..

نعم ، لقد صمت الشيخ مستجيباً لندائنا أن يصمت فنصمت . لذا لن يكون حديثنا عنه ، وإنما عن هيبة القوانين ..

---

* أرسل لجريدة الأخبار ، ولم ينشر .

القانون في مصر وفي غير مصر ، يوضع للجميع ، ومفروض أن يطبــق على الجميع . لكن البـــعض يتصور (مُخطئاً) أنه يُوضع لصالح أصحاب النفوذ المحظوظين ، وأنه يُطبق فقد على الضعفاء المقهورين .

لقد صدر الأمر العسكري رقم ٤ ، مُبطلاً تصرفات شركة الريان من أول أبريل ١٩٨٨ . وقد تسلم الشيخ من الريان شيكاً بــمائة ألف جنيه ، بعد الموعد المذكور . وأعترف بذلك علناً في مقال منشـــور وبطلان التصرف يعني إعادة الحق إلى نصابه ، بإعادة المبـــلغ إلى أصحابه . بيد أن الرجل لم يفعل ، ولعله خاف من الحاسدين ، ولعله نسي أن القانون هو القانون . وأن الكل أمامه سواء . وأن ميزان العدالة لا يعرف الحصانة ، ولا يهتز أمام مولانا ، ولا يُميز بين رجال الدنيا ورجال الدين ..

اللهم لا تُزغ أبصارنا بعد أن هديتنا إلى قضية متكاملة الأركان ، بين الشيخ والريان . نُهديها حديثاً إلى الخاص والعام ، وبـــلاغاً إلى النائب العام . وهب لنا من لدنك يا رب رحمة ، إنك أنت الرحـــمن . وأرزقنا بالحلال ، وطهرنا من رجس المساس بـــأموال الآخرين . اللهم أمين .

فتاوى آخر الزمان

قصة المقال : كاتب هذه السطور له موقـــف مُعلن ومعروف من حرب العراق وايران، وهي حرب وطنية وحضارية بكل المقاييس ، وليست أبداً حرباً دينية بأي مقياس . وأسوأ ما أبـــتليت بــــه أمتنا هو دخول فقهاء الدين في ساحة السياسة ، وما ينتج عن هذا الدخول من آراء غريبة وأفكار شاذة، تُهمل فيما تهمل مشاعر الوطنيين وقداسة تضحيات الشهداء . ومن نماذجها ما أعلنه الشـــيخ الشـــعراوي من سجوده لله (ابتهاجا) بهزيمة يونيو ١٩٦٧ . وما أفتى به الشيخ عبد الجليل شلبي ، ربما بـــكل حُســـن النية ، وهي فتوى أعترف بــــأنها صدمت مشـــاعر ، وأصطدمت بعقـــلي . فكان هذا المقـــال ، الذي أرسلته لجريدة الأخبار ، ولم تنشره .

المقال : فتاوى آخر الزمان *

تحت عنوان " الحرب العراقـــية الإيرانية دخلت عامها الثامن " كتبت جريدة الأخبار – الجمعة ١٨/ ٩/ ١٩٨٧ - ما نصه " الدكتور

* أرسل لجريدة الأخبار ، ولم ينشر

عبد الجليل شلبي الأمين السابق لمجمع البحوث الإسلامية ، يتحدث بكل الأسى والمرارة عن هذه الحرب ، ويقول أن ضحاياها ليسوا من الشهداء . فإن أياً من الطرفين لا يُدافع عن الإسلام . وأولى أن ينطبق عليها قول النبي صلى الله عليه وسلم " إذا ألتقى المسلمان بسيفهما ، فالقاتل والمقتول في النار " .

وأضاف الدكتور عبد الجليل شلبي : أنه لا يشفع لأي من الطرفين أنه مُكره . لأن المسلم إذا أكره على قتل بريء أو هتك عرض ، فإن هذا الإكراه لا يُبيح له هذا العمل ، لأنه حينئذ يفتدي حياته بحياة شخص بريء !!" .

والمعنى واضح ، فحديث الشيخ معناه ببساطة :

١- أن أكثر من مائة ألف شهيد عراقي ليسوا شهداء ، بل إن مصيرهم النار .

٢- أن الواجب الإسلامي يُحتم على أفراد الجيش العراقي أعتزال الحرب دون أحتجاج بإطاعة الأوامر ، لأنه لا إكراه في معصية .

٣- أن ما يفعله المحاربون الآن على خط النار لا يختلف - قياساً - عن موقف من يقتل بريئاً وهو مُكره ، أو يهتك عرضاً وهو مُكره، فالجميع آثم .

٤- أن على أسر الشهداء العراقيين أن تقيم المآتم ، ليس لمصرع الأبناء ، بل لمصيرهم .



٥- أن على أسر المحاربين العراقيين أن تفزع، ليس لهول الحرب ، بل لمجرد أشتراك أبنائها فيها . وأن تناشد الأبناء ، ليس الصمود ، بل العدول والنكول . لأنهم آثمون في الحرب إن نجوا منها ، خالدون في النار إن لقوا مصارعهم فيها .

ومعذرة للشيخ الجليل ..

نعم ، معذرة لشيخنا الجليل ، الذي يعلم ما لا نعلم ، والذي تعلم ما لم نتعلم ، إذا ذكرنا له أن سنده لا يستقيم مع فتواه ، وأن قياسه لا محل له في فتواه . وأن فتواه في النهاية ، غير صحيحة . لأننا نرى الأمر على عكس ما يراه .

ولعلنا نحمد الله كثيراً على تركه لأمانة مجمع البحوث الإسلامية. لأنه لو أفتى بما أفتى وقت توليها ، لأصاب منصبه الجليل من ردنا رذاذ . ولا يحسبن الشيخ الجليل أننا نحتد في العبارة ، أو نتزّيد في القول . فلحديثنا سند ، ولفحواه منطق ، ولقياسه أساس . وهو أمر جد مختلف عن حديثه الحافل بالهول ، المفزع بغريب القول، الخارج علينا بما نأباه عن علم ، وما نرفضه بعد تمحيص ودراسة ..

ونبدأ بالسند ..

يستند الشيخ الجليل إلى حديث الرسول الكريم " إذا أقتتل المسلمان ، فالقاتل والمقتول في النار " . والحديث بنصه السابق لا يجوز تعميمه في شأن الأختلاف بين طوائف المسلمين أو دولهم .

لأننا لو فعلنا – كما فعل الشيخ الجليل – لفتح ذلك علينا باباً من أبواب الجدل والفتنة ، لا نملك ولا يملك الشيخ الجليل إغلاقه . ناهيك عن الرد على أسئلة دون القارئ – وقبل ذلك الشيخ – بعضاً منها :

– ألم يكن الفريقان في موقعة الجمل من خيار المسلمين ؟. ألم يكن على رأس الفريق الأول علي وعمار وابن عباس ، وعلى رأس الفريق الثاني عائشة والزبير وطلحة ؟. ألم يقتتلا حتى سالت الدماء أنهاراً وحتى قتل من الفريقين أكثر من عشرة آلاف، منهم كثيرون من خيار الصحابة وكبار التابعين ؟. هل كل القتلة في النار ؟. وهل كل المقتولين في النار ؟. وهل عمار في النار ؟. وهل طلحة في النار؟. وهل الزبير في النار ؟. أحسب أن الشيخ لن يجيب . ولو أجاب لأجبناه ، ولو رد علينا لحاججناه .

– ألم يكن الفريقان في معركة صفين من خيار المسلمين وكبار الصحابة والتابعين ؟. هل كل القتلة والمقتولين في النار ؟. أحسب أن الشيخ لن يجيب ، ولو أجاب لحاججناه .

– ألم يقتتل المسلمون في كربلاء ؟. ألم يسقط آل البيت صرعى وشهداء ؟. قوتلوا وقاتلوا ، قتلوا (بفتح القاف والتاء) وقُتلوا (بضم القاف وكسر التاء) . وأحالوا علينا سؤالاً ، نحيله إلى الشيخ الجليل : هل القتلى جميعاً في النار ؟. وهل القتلة جميعاً في النار ؟. وهل يتساوى هذا مع ذاك؟. وهل يخلد هذا وذاك في عذاب جهنم؟. أحسب

أن الشيخ لن يجيب .

هو سند لا يصح تعميمه إذن ، وإنما يجب حصر معناه في قتل الفرد المسلم للفرد المسلم في ديار الإسلام . حيث أرواح المسلمين حرام على المسلمين إلا بحقها ، قصاصاً أو حداً . أما أن يُطلق المعنى بلا حدود ، ويحكم به الشيخ في بساطة ويسر على أحوال الشعوب ومصائرها ، فلنا في هذه الحالة أن نُراجع الشيخ وفي حلوقنا غصة ، وفي نفوسنا ألم ، وفي قولنا مرارة. قائلين له حاذر ، فأنت تركب مركباً صعباً ، وتُحمّل الحديث معنى لم يرد ، وتُقحمه حيث لا يجوز ، وتستنبط منه ما لا يستقيم ، وتورد من يستمع لقولك فيظنه صواباً ، مورد التهلكة .

وننتقل إلى القياس ..

حين يقتل المسلم العراقي مسلماً ايرانياً ، يهاجمه في عقر داره ، ويستبيح دياره . ويستجيب لفتوى إمامه الخميني بأن جند العراق أسرى ، وأن أرض العراق غنيمة . وأن حكام العراق كفرة ، وأن نساء العراق سبي ..

حين يفعل الجندي العراقي ذلك مدفوعا بحميته ، ووطنيته ، مأمورا بالدفاع من قادته ، يخرج في رأي الشيخ على قواعد الإسلام . لأن واجبه الإسلامي في تقدير الشيخ أن يرفض الأمر ، وأن يحمله على محمل الإكراه على قتل الأبرياء أو هتك الأعراض .

ُترى هل أتجاوز الحد ، إذا ذكرت لشيخنا الجليل أن قياسه فاسد . وأنه لو فكر قليلاً ، وتدبر الأمر قبل إطلاق الفتوى ، لما دفعنا إلى سؤاله عما ترك لمن يفتون بغير علم ، ويقيسون بغير دليل ، ويحكمون بغير سند .

وتبقى الفتوى ..

جل من لا يُخطيء يا شيخنا الجليل . ولعلها كبوة جواد عظيم ، وهفوة عالم كبير . ولعل تواضع العلماء ، يدفعك إلى أن تسمع منا . وما ضُرك لو سمعت منا قولاً نراه حقاً ، ونراك أهلاً لسماعه ، وجديراً باتباعه ، لا لشيء إلا لأن الحق أحق أن يتبع ؟.

إن الدفاع عن الأوطان يا شيخنا ، إسلام في إسلام . ولا يشفع لمن يهاجم أوطاننا أن يكون مسلماً أو غير مسلم ، صادقاً في دعواه أو مدعياً في صدقه . إن حماية الرجال من الأسر ، والنساء من السبي ، والثروة من النهب ، إسلام في إسلام . ولا يشفع للآسر أو للسابي أو للناهب، أن يرفع مصحفاً . أو أن تزين رأسه عمامة . أو أن تعلو جبهته زبيبة صلاة . إن من ينشر دعوته بالسيف لا بالتي هي أحسن ، وبالعنف لا بحسن القول ، وبالرصاص لا بالحسنى ، جدير بالرد عليه من جنس فعله . لا تحميه منا عمامة سوداء ، أو عصابة على الرأس تحمل أسم الشهداء . إن من يُقصر في حماية أرضه وعرضه وماله من المعتدين ، غير جدير بحمل صفة الإسلام، ولا أسماء المسلمين . إن من يقتل المعتدي ، لا يتساوى مع هاتك

العرض . ومن يموت ذوداً عن أرضه وعرضه شهيد . ومن يخرج مجاهداً في سبيل الحضارة وحـق الإنســان في الأمان ، وحـدود الأوطــان ، لا يدخل النــار . والأحرى بالنــار من يهرب أمام نار المعتدين ، ومن يفر من الدفاع عن أرض المسلمين .

ويبقى الأهم..

قلنا كثيراً لا تخلطوا أوراق السياسة بالديــن . وحسبكم أن تدلونا على صحيح الدين وصواب العقــيدة ، وأن تنزهوا الدين عن مزالق السياسة وفعال الساسة . حيث لا عاصم إلا حُسن التفكير ، وسلامة المنطق ، وحق الأوطان ، ووحــدة المواطنين . ونعيدها مرة أخرى بعد أن زادتنا الفتوى السابقة يقيناً فوق يقين .

وأخيراً ..

من يصدق ما يحدث على أرضنا الطيبة ؟. يدفع الشباب العراقي حياته فداء لوطنه ، ودفاعاً عن البوابة الشرقية للأمة العربية . وبدلاً من الترحم عليه وتمجيد بطولاته ، وتخليد ذكراه ، يتطوع البــعض بنفي الشهادة عنه وإرساله للنار ؟. وتبشير الســائرين على دربــه بعذاب سقر ، ومقارنتهم بهاتكي الأعراض ؟. في أي زمان يا تُرى نعيش ؟.

زواج المتعة بين السعد والريان

قصة المقال : هذا أحد أقصر ما كتبت من مقالات . فقد صحـــونا يوما فإذا بالصفحة الأخيرة في كل الجرائد الصباحية ، مزدانة بإعلان مثير عن أندماج العمالقة : السعد والريان . وهما أكبـــر شـــركتين لتوظيف الأموال . وبعد أيام أرسلت هذا المقال القصير . وعندما قرأه المشرفون على التحرير ، كانت بعض نبوءات المقال قد تحققت. فقد تراجع طرفا الأندماج عن عزمهما. والآن وبعد شهور تحققت البقية. ولعل المقال كان أول إشارة إلى (النصب) وإلى ما حدث لبـــعض أصحاب شركات توظيف الأموال بـــعد ذلك . تماماً كما ورد في آخر سطر من المقال .

لم يكن مقالاً إذن .. بل كان نبوءة ..

المقال : زواج المتعة بين السعد والريان *

هو زواج متعة لا ريب ، لأنه في أعتقادنا إلى أجل . بل إلى أجل

---

* أرسل للأهالي، ولم ينشر ، حيث تجاوزته سرعة الأحداث .

قريب . ولأنه لا يتوافر به ما يتوافر للعقد الشرع من شـــروط . فلا تأسيس لكيان قـــانوني جديد ، ولا تصفية لكيان قـــديم ، ولا إخطار لمصلحة الشركات ، ولا إعلان لمصلحة الضرائب . وكلاهما ولي أمر شرعي لطرفي التعاقد . ولا تحقـــق من الإيجاب والقبـــول لدى المساهمين، والأمر كله لا يزيد في تقديرنا عن نظرة عين هنا، أصابت بسهامها كبدا هناك . وإذا بالبشرى تزفها إلينا حرارة القبلات . بينما تُشي النظرات بلواعج ، لا تدري أهي الهوى أم الجوى ، أم الرضا بما تم ، أم الترقب لما هو آت .

أغلب الظن ، وبعض الظن إثم ، أن الأمر قد أقتصر على قـــراءة الفاتحة ، وعلى الأتفاق على حملة إعلانية ناجحة . وأن أوراقاً كُتب عليها أسم السعد ، تم خلطها بأوراق كُتب عليها أسم الريان ، فأختلط الأسمان . وأصبحت كل شركة في خبر كان . وخبر كان منصوب ، والنصب له أشكال وألوان .

كيف يحدث هذا في مصر ، وفي حق مساهمين بمئات الألوف ، ومساهمات بالمليارات؟. فيعلن عن الزفاف، بل عن الرفاء والبنين ، دون أخذ رأي المساهمين ، ودون أخذ موافقـــة الســـلطات . ودون إجراءات ، ودون ما هو ضروري ومطلوب من الروتين ؟.

الحـــمد لله الذي أحـــيانا لهذا اليوم ، حـــتى أرى العوائق تُزال ، والحـــواجز تتحطم ، والروتين يُنســـف ، والمساهمين يُهملـــون ،

والمليـــارات تُـــدار بالقبلات ، والمُودعين ينذهلـــون بالمفاجئآت ، والحكومة في سبات ، والكل سعيد بالإعلانات ، متيقن مما هو آت ، يوم يفر المرء من أخيه ، وشريكه ومودعيه . لكل إمريء يومئذ هَمٌ يكفيه ، أو مكان أمين يودُع فيه .

كان درساً عظيماً يا إمام

قصة المقال : في ليلة هادئة من ليـــالي الصيف ، كـــانت إحدى الفرق المحلية المتواضعة ، وهي فرقة ساحل ســـليم المسرحـــية ، تستعد لعرض مسرحية (أخلاقـــية هادفة) في قـــرية كودية الزار بمحافظة أسيوط . مستخدمة أدوات بســـيطة ، مثل طاولات البـــيع المستخدمة في الأسواق، كخشبة مسرح. وملاءات الأسرة كستارة . وبعض كراسي المقاهي كمقاعد للمتفرجين . وعلى الناحية الأخرى من الترعة ، تجمع المجاهدون من أعضاء الجماعات الإســـلامية ، في أحد المساجد، ومعهم الميكروفون، الذي أعلن من خلاله أمرهم ، فتواهم الشرعية بحـــرمة التمثيل . وكفر من ألف المسرحـــية ومن أخرجها ، ومن مثلها ، ومن رآها . وفي لحظة محددة ، غمز بعينه، فأرتفع هتاف أحدهم : لا إله إلا الله . الثقـــافة عدو الله . ذلك الهتاف الذي قاد المسيرة المسلحة بـــالجنازير والأسلحـــة البـــيضاء وغير البيضاء. ولم يكن ثمة مفر من أستدعاء الأمن، وسقوط بعض الجرحى والقتلى من الجماعات . ويقيناً فقد شمل كشف الضحـــايا آخرين ، منهم المسرحية التي ُتمثل ، والفرقة التي أصابها الرعب ، والممثلة الوحيدة

التي أنهالت على خدودها لطماً ، وهي تلعن اليوم الأسود الذي قـــاد قدميها إلى ما يمت للثقافة بصلة . ووسط ردود الفعل الغاضبـــة من المثقفين والفنانين في القاهرة ، تفرد عادل إمام ، أكثر النجوم شعبية وشهرة ، بموقف لن ينساه له التاريخ .

فقـــد أعلن عادل إمام عن عزمه على تمثيل مسرحـــيته " ســـيد الشغال" دون أن يُغير من مواقفها موقفاً ، أو من حروفها حرفاً ، في عاصمة محافظة التطرف ، أسيوط . فظن الجميع أنه يتحدث بمنطق أنه ليس على المتحدث حرج ، وحاول محبوه تحـــذيره . فكان رده : جمهوري سوف يحميني . وفي يوم العرض ، خرجت أســـيوط لكي تُحيي موكبه في الذهاب إلى المسرح وفي العودة منه ، كما تُحـــيي الجماهير في أي مكان بطلها القومي .

وقد شارك شخصي المتواضع في تحية هذا الفنان العظيم ، بهذا المقال . وشاءت جريدة الأهرام ألا تنشره .

المقال : كان درساً عظيماً يا إمام *

وأخيراً تصدى الشـــعب، دفاعاً عن وجدان الأمة وفكرها ، ورد على الخنجر بالكلمة ، وعلى الجنزير بالبسمة ، وعلى الردة بالفن . وما أشبه القطار الذي حمل فرقة الفنانين المتحـــدين إلى أســـيوط ، بقطار الرحـــمة الذي عاصرناه صغاراً . وما أجدرنا جميعاً بـــأن

* أرسل لجريدة الأهرام ، ولم ينشر .

نستوعب درس ما حدث في أسيوط .

الدرس ببساطة يؤكد ما ذكرناه ، وكررناه دائماً ، وهو أن الجهل يتقدم بقدر خوف العقلاء . والردة الحضارية تقوي بقدر تراجع المتحضرين . والعناصر الظلامية تُصبح عالية الصوت ، عندما يخفت صوت المتنورين . قلنا هذا ، وأثبتته فرقة الفنانين المتحدين حين فعلت العكس . فعلا صوت العقل ، وأنتصر صوت الحضارة، وأرتفعت رايات النور والتنوير .

الدرس ببساطة ، أن الأغلبية بخير ، وأنها حين يجدّ الجد تُعطي صوتها لكل ما هو جميل ونبيل وأصيل وحضاري . والمشكلة أنها أغلبية صامتة . ولكن دور الرواد أن يحركوا هذه الأغلبية في مسارها الطبيعي ، للأمام ومن أجل المستقبل . وقد أثبتت جماهير أسيوط صدق ما توقعناه . حين تحركت ، فأختفت خفافيش الظلام ، وسكن صوتها ، وداست الجماهير بياناتها بالأقدام .

الدرس ببساطة أن قليلاً من الشجاعة يَصلح الوطن . وقد كان عادل إمام شجاعاً ، وقبله الدكتور هاشم فؤاد [1] شجاعاً . وقبلهما كان مصطفى مرعي [2] شجاعاً . والشجعان يحترمهم الشعب ، ويضعهم في حبات القلوب ، ويجدون مكاناً رحباً في سجل التاريخ . والتاريخ خير حافظاً ، وهو أعظم المقدرين . فقد واجه الرسول أبا جهل وهو زعيم

---

(١) العميد السابق لطب القاهرة ، وصاحب المواقف الشجاعة في مواجهة التطرف والمتطرفين .

(٢) شيخ المحامين ، وأحد أقطاب الجهاد الوطني ، وأحد أساتذتي .

الكثرة الغاشمة ، فأين أبو جهل من مواطن أقدام الرسول ؟. وواجه بولس نيرون وهو أمبراطور الدولة الرومانية وحاكمها الأوحد ، فأين نيرون من بولس ؟. وواجه أثناسيوس أضطهاد الرومان في مصر ، وحاول أحد مريديه أن يُثنيه قائلاً : العالم كله ضدك يا أثناسيوس. فكان رده البليغ: وأنا ضد العالم. وكان أن عاد أثناسيوس إلى كرسي البابوية ، وحفظه تاريخ المسيحية ركناً من أركان الإيمان والعقيدة . وواجه الحسين يزيد بن معاوية وهو الخليفة، والدنيا والسلطان ، فأين يزيد من الحسين ؟. وأين الأمويون اليوم من شيعة الحسين ؟. وواجه جاليليو مجمع الكهنة حين أنكروا دوران الأرض حول الشمس ، فأين هم الآن من جاليليو ؟. ومن يذكرهم اليوم إلا بالإستهزاء ؟. ولست أشك في أن درس أسيوط سوف يكون ميلاداً جديداً لمزيد من الشجاعة والشجعان . ولست أشك أيضاً في أن هزل الصبية ، سوف يستحيل إلى زبد يذهب جفاء . وأن الإيمان بالله والوطن ، سوف يمكث في الأرض .

ويا عزيزي عادل ، سألني العشرات كيف يتصلون بك، وينقلون مشاعرهم إليك . فكان ردي أنك مؤمن بأن ما فعلته أنت وأعضاء فرقتك العظماء، لا يزيد عن كونه واجباً عليكم في زمن عز فيه أداء الواجب ، وحقاً أديتموه للوطن . فحق للوطن أن يُحييكم ويحميكم ، ويشد على أيديكم ، ويردد معي ما عنونت به المقال : كان درساً عظيماً يا إمام .

وربـ ضارة نافعة *

(تعليق على حديث الشيخ الشعراوي)

معترض أنا بشدة على هجوم البعض على تصريحات الشيخ الشعراوي الأخيرة [1] . ليس لأنني أقبل تصريحاته ، وليس أيضاً لأنني أرفض حجج مهاجمينه ، وإنما لسبب بسيط نلمحه خلف سطور النقد أو الهجوم . وهو توقع الناقدين أو المهاجمين لصواب مقولات الشيخ الجليل ، ليس في ساحته فقط ، وهي ساحة الدين ، تلك التي تعلمنا أنه لا عصمة لأحد فيها . بل أيضاً في كل الساحات ، سواء كانت ساحة الطب أو ساحة الفن أو ساحة الرياضة أو ساحة السياسة أو غيرها . وربما كان سبب ذلك ما يتصوره البعض من شمول الدين لكل هذه القضايا . وهو فهم محدود للدين ، تنفيه حقائق الدين والتاريخ معاً . ولعل حديث الرسول العظيم إلى معاذ بن جبل، حين ولاه على اليمن، شاهد لا يكذب على ذلك . فقد سأله الرسول كيف سيحكم؟. فأجابه

---

* نشر في مجلة طبيبك الخاص – دار الهلال .

(١) كان رأي الشيخ أن تدخل الطب في حالات الأزمات القلبية ومرضى الفشل الكلوي، تدخل غير مُستحب في الإسراع بلقاء المرضى بالله .

بكتاب الله . فقال له الرسول ، فإن لم تجد (وضع تحت هذه عشـــرة خطوط) فقال فبسنة رسوله . فقال الرسول، فإن لم تجد (وضع تحت هذه عشرة خطوط ثانية) فقال أجتهد رأيي ولا آلو (وضع تحت هذه عشرة خطوط ثالثة) . فدعا له الرسول بخير .

الشاهد هنـــا أن الرسول يُوضح صراحة أن هناك أموراً تخص الدنيا، قد لا يجد لها معاذ دليلاً أو ســـنداً في كتاب الله ولا في ســـنة رسوله . وأن الرسول قد سعد كل السعادة ، حـــين أخبـــره معاذ أنه سوف يُعْمِلُ عقله ، وسوف يستخدمه في الأجتهاد ، وســـوف يُجهد نفسه في ذلك ولا يقصر .

ثمة أمور هنا لابد وأن نتوقف عندها. وأولها أن الحـــديث يخص اليمن ، وفتح اليمن كان في نهاية عمر الرسول . وثانيها أن معاذاً قد يجد أموراً لا سند لها في الكتاب والسنة في عصر الرسول نفســـه ، فما بالك بعصرنا بعد أكثر من أربعة عشر قرناً؟. وأين؟. في اليمن ، أي داخل الجزيرة العربية . فما بالك بما يمكن أن يحدث في قطر آخر ، ذي زرع ، وذي حضارة ، وذي تاريخ ، وذي عقائد سابقة وضاربة في أغوار التاريخ ؟. أما آخر الدروس وأبلغها ، فيتمثل في ســـعادة الرسول بإعمال العقل . وهو بالقياس في عصرنا الحديث ينصرف إلى التقدم الفكري والعلمي .

هنا لا مفر من أن نجد أنفسنا أمام مفترق طريقين : أولهما يتمثل في الفهم الحرفي للنص . وثانيهما يتمثل في إعمال العقل في الفهم ،

والأستدلال المنطقي في التفسير . وهنا ينتصر الفريق الأول لتفسير الآية الكريمة "وما فرطنا في الكتـاب مـن شيء" ، على أنها دلالة على أن القرآن الكريم لم يكن كتاباً في الدين والعقيدة أساسـاً ، وما يتصل بهما من شئون الحياة . بل هو أيضاً كتاب في الفن العسكري، والعلم الطبي ، وأصول الكيمياء والفيزياء والذرة والهندسة وغيرها . بينما يربط الفريق الثاني بين الآية الكريمة وبين حدث معاذ ، بـل وبين كثير من وقائع السنة الشـريفة . فيقـصر تفسـير الآية على أستكمال الدين وتمام العقيدة . ويحمد الله على ذلك كل الحمد . وينطلق بعقله فيما هو خارج ذلك إلى ساحة العلم مُسلحـاً بأسلحـته . وهي العقل والمنطق ، والتجربة والخطأ ، والمشاهدة ، والأستنتاج . وينفتح على الحضارة، فينهل منها . وعلى العلم، فيسـتوعب فتوحـاته . وعلى الأكتشافات، فينقل أحدثها . وهو راض عن ذلك كل الرضا . دون محاولة محكوم عليها بالفشل مسبقاً ، لربط كل شيء وأي شيء بأصل ديني . حتى ولو أقـتصر الأمر على المسـميات ذات الجرس الموسيقي المطرب، والرنين الديني اللافت. فهذا طب إسـلامي وذاك طب نبوي. وهذا علم القوارير وذاك علم الأحاجي . وهذا هو القرآن يُشير إلى أحد أحدث مجالات الأبحاث ، وهو مجال الذرة . متناسين أننا نحن الذين ترجمنا اللفظ الأجنبي " Atom " إلى نظيره العربي "الذرة ". وكان ممكناً أن نسميها بأسم آخر ، وليكن المهموش مثلاً . بيد أننا كما تعودنا في دراستنا الأولية ، نكتب سطراً ونترك سطراً ،

ونذكر شيئاً ونتناسى أشياء .

أنصار المنهج الأول هم الذين أنزعجوا أشد الإنزعاج لحديث الشيخ الشعراوي . بينما أنصار المنهج الثاني (وأنا بفضل الله واحد منهم) لم ينزعجوا إطلاقاً . لأن ما حدث منطقي تماماً . فالرجل رجل دين واسع الشهرة ، وفقيه متميز بلا جدال . لكنه في مجال الطب أو السياسة ، مثل العبد لله في مجال الغناء أو التايكوندو . وقد أخترت الغناء لأنني مشهور في منزلي بأنني أهدد كل من يُخطيء بأنني سوف أغني ، فليزم الجميع حد الأدب والطاعة . وأخترت التايكوندو لأني كنت أظنه نوعاً من الطعام الياباني ، إلى أن هداني الله ذات يوم فقرأت أنه رياضة مستحدثة .

تُرى ، هل يُعتبر التعقيب السابق على ضجة تصريحات الشيخ كاملاً وكافياً ؟. لقد سألت نفسي هذا السؤال ، وكانت إجابة النفس على النفس، أنني لم أستوف الموضوع حقه . لأن ما حدث لم يحدث في التليفزيون البريطاني مثلاً . فلو شاهد أحد البريطانيين أسقف كانتربري يتحدث في الطب أو الهندسة مثلاً ، لمد يده إلى مؤشر القنوات وأداره إلى قناة أخرى . ولو وجد في القناة الثانية ما نجده أحياناً في مصر ، أقصد وجد أستاذاً في الطب يبسمل ويحوقل ويُنحّي ما تعلمه في كلية الطب جانباً ، ويُلقي موعظة دينية بليغة عن حكمة إيتاء الزكاة ، لأغلق التليفزيون أو أنهال عليه بالمطارق . لكننا في مصر ، والشيخ هو الشعراوي ، والمشاهدون هم الشعب ،

وأغلبهم من عشاقه . وأمية القراءة متفشية، وأميّة الثقافة أكثر تفشياً. والموضوع هو الإسلام ، والفتوى بعيدة كل البعد عن الرحمة ، والإسلام كما نعرفه دين التراحم ، والرسول كما نقرأ عنه كان رحمة مُهداة .

أي مازق هذا الذي وضع الشيخ المشاهدين أمامه ، وأي مازق وضعنا الشيخ فيه، ونحن نعلق على أقواله ؟. وكيف السبيل إلى الرد على ما أورده الشيخ ، والبعض يتصور أن الرد على الشيخ رد على الإسلام . وأن أنتقاده أنتقاد للإسلام. وأن الهجوم على آرائه هجوم على الإسلام ؟. وأن بعضاً من المفكرين أو الكتاب يتصورون نتيجة لهذا كله، أن الشيخ وآراء الشيخ منطقتان محرمتان على النقد والإقتراب . ونحن بحمد الله لسنا من هذا الفريق ، ومنهجنا مع الشيخ وأي شيخ ، أن ما يقوله رأي في الإسلام ، وليس الإسلام ذاته بالضرورة. ورحم الله أبا حنيفة ، الذي سأله تلميذه يوماً ، هل ما ذكرت هو الصواب الذي لا يقبل الخطأ؟. فكان رده العظيم : والله لا أدري ، لعله الخطأ الذي لا يقبل الصواب .

ليكن الأمر على هذا النحو إذن . أخطأ الشيخ ، وقال رأياً هو رأيه، وليس بالضرورة رأي الإسلام . بيد أن ما قاله لم يكن خطأ كله، ولعله لم يخل من فائدة .

نعم .. إن مرضى الفشل الكلوي ، ومرضى الحالات الخطيرة التي تستدعي نقل الأعضاء ، ومرضى الأمراض الميئوس منها وغير

المعروف علاجها الكامل حتى الآن ، والمرضى الذين يُنقذهم نقلهم إلى غرف العناية المركزة - يزيدون عن مليون مواطن في مصر..

ولو أخذنا بفتوى الشيخ ، وليعذرني هؤلاء جميعا فلست أرى رأيه ، وإنما أحاول الأستطراد مع منطقه ، وأقول لو أخذنا برأيه ، لفقدنا مليون مواطن سنوياً . ومادامت نسبة الزيادة السكانية في مصر حوالي ٣% أي حوالي ٥ر١ مليون مواطن ، فإن وفاة مليون مواطن بفضل فتوى الشيخ الجليل ، أمر يهبط بنسبة الزيادة السكانية من ٣% إلى ١% فقط . وهكذا أخطأ شيخنا الجليل في مجال الطب، وأفاد في مجال الاسكان . وأنجز في حديث واحد ما لم يُنجزه جهاز تنظيم الأسرة في عشرين عاماً . وهي عبقرية لابد وأن نحمدها للشيخ الجليل. ورب ضارة نافعة !.

أسئلة حائرة *

شـــيء رائع أن يتوجه الآلاف إلى صلاة العيد ، وأن يحتشــدوا لسماع خطبة العيد من أئمة مشهود لهم بالعلم والفقه والدين . وشيء مُتوقع أن يسمع المصلون موعظة دينية لا يختلف أحد معها أو عليها. وشيء غير متوقع وغير منطقي وغير مستحب، أن يستغل أحد الأئمة هذا الحشد ، لكي يعرض رأياً هو رأيه ، وليس رأي الإسلام . وأجتهاداً يثير الخلاف والفرقة ، حــيث يجب الأتحــاد والألفة . وهو إذ يفعل يُضفي على رأيه وأجتهاده ثقل المنبر الذي يقف عليه ، وهيبة الموقف الذي يقفه ، وقداسة الدين الذي يتحدث بأسمه .

والأمثلة في يوم العيد الأخير كثيرة ، وأوضحــها ما أعلنه أحــد الأئمة من أن شعار القومية العربية، وراءه مُخطط صهيوني غربي. وهو ما لا يزعم أحد أنه إجماع المسلمين أو إفتاء الدين . وأقصى ما يُوصف به أنه رأي قد يراه البــعض ، ويختلف معه الكثيرون . وأنه يُثير الخلاف والفرقة في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الإجتماع والإجماع . ويثير أيضاً أسئلة حائرة ، أحدها عن موقف المســلمين

* أرسل لجريدة الأهرام ، ولم ينشر .

من فتاوى كبار الأئمة الذين باركوا القومية العربية، وساندوا وحدة الصف العربي ، وقت أن ارتفعت دعاوى الوحدة والقومية في الستينات . وما ذلك العهد ببعيد.

وثانيها عن موقف أجيالنا الصاعدة من زعماء ، قد نختلف معهم وقد نتفق . لكن أحداً لا يملك أن يصفهم بالعمالة لمخطط غربي صهيوني ، إلا إذا تعسف أشد العسف ، ولوى عنق الحقائق ليّاً لا يقبله منطق أو ضمير وطني أو وجدان ديني .

وثالثها عن موقف المختلفين مع رأي الإمام ، والجالسين أمامه في خشوع . لمنبره وليس لرأيه ، ولدينه وليس لأجتهاده . وهل مطلوب منهم أن يتركوا الصلاة رفضاً لمقولته ، أو يرفعوا الشعارات أستنكاراً لرأيه ، أو يعتلوا منبراً مواجهاً لتفنيد زعمه ؟. وهل هذا هو المكان المناسب للأختلاف ، وهل ضاقت سبل الموعظة الدينية وساحة الأمر بالمعروف، وما أجله، والنهي عن المنكر، وما أكثره ؟. حتى نقفز فوق ذلك كله بحثاً عن الأختلاف في الفروع وليس الأصول ، وتعميقاً للتشتت والفرقة ليس حول قاعدة دينية ، بل حول رأي شارد مكانه منابر الأحزاب السياسية ، وساحته صفحات الصحف والكتب والمجلات ، وموقعه في شئون الدنيا باليقين ، حيث المساحة واسعة للرأي والرأي الآخر ، والساحة متاحة للخلف والشك واللايقين ؟.

ما سبق كان أسئلة حائرة ، أضيف إليها سؤالا آخر يخص ما

طالعتنا به إحدى الصحف ، عن عزم وزارة الخارجية تعيين ملحق ديني في كل سفارة . ويأتي ذلك في الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات مُطالبة بترشيد الإنفاق ، وترتفع فيه الشكاوى من أزدحام السفارات بمن لا يقومون بواجبهم في رعاية مصالح المصريين ، ومتابعة مشاكلهم وشكاواهم . ويحدث أيضاً بالتوازي مع دور الأزهر في إرسال الدعاة إلى أرجاء المعمورة . وهو الأمر الذي يُثير لدي أسئلة أتمنى أن لا تظل حائرة عن الدور المطلوب من سفاراتنا المصرية . وهل قامت به حتى نضيف إلى أدوارها دوراً وإلى أعبائها عبئاً . وعن ترتيب الأولويات في الخارجية المصرية ، وهل يدخل نشر العقيدة الدينية ضمن هذه الأولويات ؟. وعن وظيفة الملحق الدبلوماسي الديني ، وهل هي موجودة في أي سفارة من سفارات العالم ، حتى سفارات الفاتيكان وايران ، أم إنها بدعة أملاها علينا توافر الأموال وأتساع الحال ، والإستجابة لمزايدات البعض؟. وأخيراً فلعلها مساهمة متواضعة من وزارة الخارجية في حل أزمة البطالة ، شفيعها حُسن النوايا وسلامة القصد.

مصرنا بخير *

في أسبوع واحد ، علمنا شـــعب مصر العظيم ، أربـــعة دروس بليغة، تُثبت للقاريء أن شعبنا أرقى بكثير مما نظن ، وأكثر أصالة مما نتوقع ، وأنبل كثيراً مما نتصور . أما الشهامة والوفاء ، فحـــدث ولا حرج .

الدرس الأول

مساء الجمعة الحزين ، حدثت فجيعة الرحلة المدرسية . وما أن شعر سكان منشية البكري بأن هناك أطفالاً مصابين بمستشفى الحي، حتى هرعت طوابير المتطوعين بالدماء . بل إن شئنا الدقة طوابير الوفاء ، لا فرق بـــين شـــيخ وفتى ، أو رجل وامرأة ، فالكل ســـعيد بالعطاء . آسف أن اعتذروا له بأسباب تتعلق بحالته الصحية . حدث هذا دون دعوة أو نداء. وأنهالت المكالمات على المستشفى بالأكتفاء. ويتركون أرقام الهاتف للأتصال بهم في أي وقـــت ، علهم يشرُفون بالمشاركة والفداء . ووسط هذا الموكب النبـــيل ، علمت ســـيدات المنطقة بمصرع بعض الأطفال ، والتقطت آذانهن صراخ الأمهات الثكالى . فلبسن السواد، وهرعن إلى حيث تصرخ الأمهات ، للبكاء

* نشر في جريدة الأهرام .

معهن ، والصراخ من أجلهن . وإذا بالأم الثكلى تجد نفسها في صدر باكية لم ترها يوماً ، وإذا بدموعها تذوب في شلال من دموع المواسيات . وما أروع لحظة الألم العظيم ، التي جمعت الكل في واحد. وأعلنت أننا جميعاً أهل، وإن افترقنا شيعاً، أو اختلفنا أحزاباً ، أو تفرقنا أدياناً . وأننا لا نقل في العطاء الإنساني عن ذلك السائق النبيل ، الذي انطلق بمركبة النقل العام إلى ساحة الكارثة ، وانتقل بالضحايا في سرعة البرق إلى المستشفى . ملتاعاً لصراخهم ، باكياً لبكائهم . يا له من بكاء عظيم، ويالها من إنسانية صادقة ، ورحمة دافقة . وياله من درس يدفع القلم إلى عجز ، والكلمة إلى قصور ، والذهن إلى تساؤل : في أي مكان يا تُرى غير مصر ، يحدث هذا كله ؟. وأي كلمات يا تُرى تقدر على وصف ذلك كله ؟. وأي أوسمة تليق بصدور هؤلاء البسطاء ، ممن لا نعرفهم ، ولن نعرفهم ، وليسوا في حاجة إلى أن نعرفهم . وهم في غنى عظيم عن الإشادة بهم ، أو الإشارة لما يحملون في حناياهم من جوهر أصيل ؟.

الدرس الثاني

يوم الأربعاء أعلن عن فوزمرشح برلماني بالتزكية في إحدى دوائر الصعيد. والقصة تبدأ يوم توفي الوزير عبد الحميد رضوان ، وشعر الجميع بالحسرة على شباب رحل في العنفوان ، وعمر انقضى قبل الأوان . وكإجراء روتيني، أعلن عن خلو الدائرة ، وفتح الباب لقبول أوراق المرشحين . وهنا تجلت الأصالة، ولمع المعدن العظيم . حين تقدم ابن عم الراحل للترشيح ، فلم يتقدم أمامه أحد .

وأحجم الجميع تعبيراً عن الوفــاء ، وتراجع الكــل عــن الترشيح مشاركةً في العزاء . ولم يشــذ منهم فرد ، ولم يخرج على إجماعهم حزب . وأن ينجح ابــن العم في منافســة، فهذا وفاء . أما أن ينجح بالتزكية، فقل في هذا ما شئت ، وصفه بما هو جدير به ، وتســاءل معي عن مكان آخر غير مصر ، يحدث فيه هذا العزاء النبيل .

الدرس الثالث

مساء الخميس ، أحتفلت نقابة المحامين بتأبين المناضل الوطني العظيم مصطفى مرعي . وأذكر يوم قرأت خبر وفاته ، أنني هرعت إلى عمر مكرم، فلم أجد سرادقاً للعزاء . وأكتشفت السبــب في اليوم التالي، حين علمت أنه أوصى أن يُدفن بلا عزاء. وكان الرجل محقاً، لأن سرادق مصطفى مرعي ، هو حــدود مصر . وعزاء مصطفى مرعي ، هو عزاء كل المصريين لكل المصريين . وفي النقابة ، سالت دموع الكبار وهم يتحــدثون . وســالت دموع الحــاضرين ، وهم يستمعون . وقيل فيه من الكلمات ما لم أسمعه في عظيم من قبل . ولم يكن الرجل حاكماً أو مسئولاً، أو منضماً لجماعة أو منتصراً لحزب. لكنه كان منتصراً طوال عمره لقــضايا الوطن . وفي يوم الوفاء، وفى له الوطن . تأكيداً على أن مصر كانت ، وما تزال ، وستظل ، بــلد الوفاء الجليل .

الدرس الرابع

في نهاية الأسبوع ، كان موعد مباراة الأهلي المصري والهلال

السوداني على نهائي البطولة الأفريقية . ويوم فاز الأهلي بالبطولة من قبل ، أنتظرته الجماهير في المطار بعد منتصف الليل ، وأحتشدت الجموع على جانبي الطريق تُحيي موكب الفريق البـطل ، ولم تنم القاهرة ، ولم يهدأ صخب أبواق السيارات . غير أن شيئاً من هذا لم يحدث، رغم فوز الأهلي وإحرازه للبطولة هذه المرة. فقد فرح الجميع، ثم هدأ الجميع . لأنهم أدركوا بحسهم الأصيل أن المهزوم هو أحـد أصحاب الدار . وأنه لا فرق بين أن يقبع الكأس في القاهرة ، أو يلمع في الخرطوم . وأن مشاعر الأخوة السودانيين تستحـق الأحـترام والأعتبار والإكبار ..

حدث هذا ببساطة وتلقائية ، ودون توجيه ، ودون فلسفة أو تحليل أو تعليل ..

وأخيراً ، من يصدق أننا تلقينا هذه الدروس كلها من شعبنا العظيم في أسبـوع واحد؟ ومن يختلف معي إذا رددت ودموعي تجول في عيني : حقاً ، حسبنا اننا مصريون .

وانتصرنا في سيول *

أخيراً حصحص الحق . فقد أعلنت وكالة المخابرات الأمريكية في ميزانيتها المقدمة إلى الكونجرس ، أنها مولت عشرات المؤتمرات الإسلامية في أرجاء المعمورة في العام الماضي. ومعنى هذا بوضوح ، أننا نرى الإسلام غاية ، ويراه غيرنا وسيلة . وأننا نراه عقيدة ، ويراه غيرنا سفينة لأحلام السطوة والسيطرة والنفوذ . وأننا نستهدف رصيد الآخرة ، بينما يستهدف منه الآخرون رصيد الدنيا. وأننا نراه قرآناً وسنة ، ويراه غيرنا مؤتمرات ، ومؤامرات ، وتقارير مخابرات ..

الآن فقط أستطيع أن أفهم لماذا ينأى البعض بمؤتمره عن القاهرة، ويذهب إلى لندن . وعن بغداد ، ويذهب إلى طوكيو . وعن الرياض ويذهب إلى سيول ..

الآن فقط أستطيع أن أفهم كيف تحولت لندن إلى (سنتر) إسلامي، بحيث لو أتى زائر من الفضاء ، لتصورها قبلة المسلمين . وأستطيع أن أفهم أيضاً، لماذا يسيطر الإيرانيون على المركز الإسلامي هناك،

* نشر في جريدة الأحرار .

ولماذا تتعالى في بريطانيا العظمى صيحات الجهاد ؟. وأستطيع أيضاً أن أفهم الحكمة العظيمة في عقد مؤتمر إسلامي كبير في طوكيو عاصمة اليابان ، التي يدين أهلها بالعقيدتين الشنتوية والبوذية ، ويندر أن تجد في أنحائها مسلماً واحداً .

الآن فقط أستطيع أن أفهم تلك الغزوة الإيمانية الرائعة ، لبعض علمائنا الأفاضل ، الذين ذهبوا بكل حُسن النية ، أستجابة لدعوة مباركة كريمة مجانية، لمؤتمر إسلامي كبير في سيول. أعز الله به الإسلام، وامتلأت شرفاته برجال الإعلام . أو بمعنى أدق ، بمن يحملون شارات الإعلام . وجلس العلماء الأفاضل في القاعة الكبيرة المغلقة، يرفعون عقيرتهم بنصرة دين الله . ويوقفون الجلسات لأداء شعائر الصلاة . وينظرون إلى منظمي المؤتمر الكرماء بعيون قلقة . فلا يجدون في عيونهم إلا ترحاباً . والنظرة تتبعها نظرات، والقلق تتبعه بسمات . ويصبح الجميع بعون الله أحباباً . وينطلق الأفاضل فوق منابر الخطابة في ثقة وأعتدال . لكي يقدموا أبحاثاً عن الحركة الإسلامية في بلادهم . وكلما وثقوا معلوماتهم ، كلما أزداد الوجد في عيون المنظمين . وكلما غاضوا في بطون بلادهم ، كلما طفر الدمع من عيون المنظمين . وكلما أمعنوا في رسم الخطط للحركات الإسلامية في المستقبل ، كلما تحول وجد المنظمين إلى عشق وصبابة ، تشي بها العيون . وكلما أعلنوا أن المستقبل لهم ، صفق المنظمون ، ووقفوا أمام مقاعدهم إعجاباً وإكباراً . وكلما أوغل البعض في الحديث عن نجاسة دم البرغوث ، وأحكام معاشرة

الجان، وكيف تستقر الأرض على ظهر حوت، والحــوت على صفاة، والصفاة على ظهر ثور . وكيف عطس الثور، فتزلزلــت الأرض، فكانت الجبال . كلما أرتفع التصفيق والهتاف من صفوف المنظمين، وأنطلقوا مُهللين مكبرين ، وهتفوا – رغم أنهم لا يعرفون حرفاً من اللغة العربية – الله أكبر الله أكبر ، إسلامية إسلامية .

واستطيع أن افهم أيضاً كيف أنتهي المؤتمر بمفاجأة هائلة ، مُثيرة مزلزلة ، حين أشهر رئيس المنظمين إسلامه ، ونطق بالشــهادتين أمام المؤتمر ؟. وكيف أعلن عالم فاضل جليل من فوق المنبر ، قوله الشهير الجهير ، موجهاً حديثه للمنظم النحرير : لو لم نفعل شــيئاً إلا هدايتك ، ولو لم ننجز شــيئاً إلا إســلامك ، لكفانا هذا فخراً . وأنني أعلن أمام العالم كله أن " شي كاي شانج " قد أصبح أســمه من الآن فصاعداً ، " المقداد بن حلزة " وكنيته " شرحبيل " . وبــين التصفيق والهتاف ، والأشواق والعناق ، والدمع والنشيج ، ينتصر الإسلام . ويُهدي رئيس المؤتمر إلى المقداد سيفاً أسمه " المقدام " . ويسأله أن يُغمده في صدر أعداء الإسلام . وأن يصحبه معه في قبــره ، ليكون شفيعاً له أمام رب الأنام . وتتزلزل القاعة بــالهتاف : الله أكبــر الله أكبر ، إسلامية إسلامية ، لا شرقــية ولا غربــية . ويعود علماؤنا الأفاضل، تسبقهم دقات الطبول ، تزف البشرى بأنتصار الإسلام في سيول ..

أيها الإسلام العظيم ، كم من المؤامرات ، أقــصد المؤتمرات ، ترتكبه بأسمك ؟.

جن لما يركبك

طوال حياتي، وأنا اسأل نفسي سؤالاً ساذجاً لا إجابة له : لماذا تخصص الجن في ركوب أجساد بني عدنان وقحطان ، ولماذا لا نسمع عن أمريكي أو روسي أو ياباني ركبه عفريت من الجن ؟. ما أكثر ما طمأنت نفسي بإجابة منطقية ، وهي أن الجن في بلادهم من النوع الرومي ، الذي يركبه أبناء هذه البلاد ، ويُسخرونه من أجل التقدم، ويستخدمونه في المنافسة العلمية الشريفة . وآخر ما قرأته في هذا الشأن ، هو أستخدام الأمريكان للجن في أختراع طائرة مقاتلة ، ترصد الهدف على بعد خمسين كيلو متراً، ثم ترسل قنابرها (أقصد قنابلها)، مُوجهة بأشعة الليزر، فتُصيب أهدافها دون خطأ يتجاوز نصف المتر . وتخترق الدروع الخرسانة حتى عمق خمسة أمتار . وتصيب القابعين في مخبئهم، بصرف النظر عن ترديدهم للأناشيد الوطنية، أو نصبهم لحلقات الذكر ، أو قراءتهم للأوراد السلطانية . ثم تعود الطائرة من حيث أتت ، آمنة مطمئنة ، لأنها أدت مهمتها خارج نطاق ملاحقتها بالدفاعات الأرضية .

---

* نشر في جريدة الأهالي ، بتاريخ ١٤/ ٦/ ١٩٨٩ .

إلى هذا الحد تقدمت هذه البلاد ، وإلى هذه الدرجة نعيش في واد ويعيشون في واد . فننشغل نحن بـــالتوجيه المعنوي ، والشـــعارات الوطنية، وتزيين الأستشهاد . وينشغلون هم بنوع آخر من الحروب، يستطيع أن يكسبها المرتزقة ، ويديرها (الهيبز) بشرط واحد ، هو إجادتهم لعلوم الكمبيوتر وإجادتهم لأستخدام الآلات والمعدات .

تذكرت هذا كله ، وأنا اقرأ تحقيقاً منشوراً بالصفحـــة الثالثة في جريدة النور – العدد ٣٧٩ – عنوانه العلاج بالقرآن الكريم . ذكرت فيه الجريدة أسماء أربعة من المشايخ ، يمارسون العلاج في عيادات متخصصة . هم الشيخ عبد الخالق العطار بالمنصورة ، والشـــيخان أنسى بدوي وعبد المنعم الديداموني بالشرقية ، والشـــيخ محـــمود بيومي بالقاهرة. وأضافت الجريدة، والعهدة عليها، عبارة "وغيرهم كثيرون " . كما أوجزت نظرية العلاج الجديدة فيما نصه : تنطلـــق نظرية العلاج بالقرآن ، من أن أمراض الشلل والأمراض العصبية، التي يُصاب بها الكثيرون، يكون سببها الجن الذي يدخل جسد أبن آدم فيشله ويصيبه بالوهن .

ولم يفت الجريدة أن تذكر المراجع الطبية المعتمدة (وأشـــهرها زاد المعاد لأبن القيم) . وأضافت على لسان الطبيب الكبير الشـــيخ أنسى بدوي (أكرمه الله) أن أغلب الحالات المرضية التي عُرضت عليه، كان من أهم أسبابها : كثرة الأستماع إلى الموسيقـــى والغناء، ومشاهدة المعاصي على شاشة التليفزيون ..

لا أخفي على القاريء أنني أقتنعت ، خاصة وأن الشيخ أنسي قد ساق أسباباً مُقنعة . فمن أدرانا بأن أغاني أم كلثوم ليست سبباً في الشلل الرعاش ؟. خاصة مع ما نلاحظه من أهتزاز أجساد البعض عندما تتسلطن الست . ومن أدرانا بأن مسلسل ليالي الحلمية ليس سبباً في التبول اللا إرادي ؟. ولماذا لا نسلط الأضواء على أنسي والديداموني والبيومي ، وبدلاً من أن ننشغل بالأطباء الظهورات أمثال خيري السمرة وهاشم فؤاد وأحمد شفيق ، الذين لا يعرفون الفرق بين الجن البلدي والجن الرومي ، ويجهلون تماماً أفاعيل الجن الفيومي ؟. ولماذا لا نستعين بهؤلاء الخبراء في مفاوضاتنا مع صندوق النقد الدولي ؟. إن الأمر لن يكلفنا أكثر من قرموط سمك ، نكتب على بطنه عملاً بالسُفلي . وكلما تلعبط القرموط ، كلما تلوي مدير الصندوق وتلعبط عارياً فوق مكتبه ، مردداً : ألحقني يا شيخ بيومي ، ألحق لبسني هدومي ..

حقاً إن شر البلية ما يُضحك . وأكثر ما أضحكني وأنا اقرأ التحقيق المذكور ، هو مطالبته بوجود عيادات (رسمية) للمشايخ سالفي الذكر . وتأكيده على أن فتح هذه العيادات، سوف يساعد على القضاء على " المشعوذين الذين يستغلون الناس ويستنزفون أموالهم" . ولعله يقصد عيادات كبار الأطباء والمستشفيات المتخصصة ..

لقد أدركت بعد قراءة التحقيق الصحفي أن شعار " الإسلام هو الحل " قد راحت عليه ، وأنه أصبح موضة قديمة . وأن الشعار الذي

يجب أن نرفعه جميعا ونلتف حوله هو " الديداموني هو الحـــل" .
وقد أسعدني وأثلج صدري ، أن الجريدة قـــد نشـــرت صورا لعيادات الجهابذة المذكورين . وهو ما أهديه الى مجلس نقابة الأطباء ، الذي ينشغل أغلب أعضائه بـــرفع الشـــعار القـــديم . وأغلب الظن أنهم لن يتخذوا موقفا حيال هذا التطور العلمي ، وهذه الممارسات الطبـــية ، وهؤلاء الأطبـــــاء المتخصصين . جعل الله كلامي خفيفاً عليهم ، وأنجانا على أيديهم ، حتى يعم الخير أرجاء الوادي ، وتتقافز الصحة والحيوية في وجوه الناس في بلادي . دستوركم يا أسيادي ..

العمر والصحة لا يسمحان *

نشر الأستاذ مصباح قطب حديثاً تليفونياً أجراه معي ، ضمن إطار موضوع مثير عنوانه " ضبطناهم يبيعون الشهداء بااللوف والصفيح وورق التواليت ". ووصف حديثي بأنه " أوضح منافستو لرجال الأعمال الليبراليين في مصر ، إزاء قضية التطبيع والوجود الإسرائيلي " . وخصني مشكوراً بمطالبة القراء والخبراء السياسيين أن يردوا عليّ . وتعقيباً على ذلك أقول :

اولاً : ظلم الأستاذ مصباح حديثي بوضعه في هذا الإطار ، وكأنني فيلسوف التطبيع في مصر . وهو في هذا يلتقي مع التيار السياسي الديني دون أن يشعر ، في أتهام ظالم لا أساس له . لأنني لم أتعامل بمليم واحد مع إسرائيل . ولم يتم أي تعامل معهم من خلال مكتبي لصالح أي عميل لهم . كما أنني أعتذرت حتى الآن عن قبول العديد من الدعوات لزيارة اسرائيل . وبعضها من معاهد علمية . بينما يلتقي ياسر عرفات بالإسرائيليين غير الرسميين ، ويعلن عن أستعداده للقاء الرسميين . وبذلك لا يُصبح لقاء فرج فودة بإسرائيلي أو

* نشر في جريدة الأهالي بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٨٩ .

مصافحته، خيانة وجريمة لا تغتفر ومتاجرة بالشهداء .

ثانيا : الحديث عن التجارة بالشهداء هو أبعد ما يكون عني . فأنا شقيق الملازم محي الدين فوده ، الأصغر مني بعام واحد ، والذي أستشهد في حرب أو فضيحة ١٩٦٧ ، بعد تخرجه من الكلية الحربية بثلاثة أيام (الدفعة ٥٠) . ولا نعلم حتى الآن أين مات أو كيف ، وهل دُفن أم لا ؟. ولست أنا الذي يُتاجر في دم محيي وزملاء محيي ، وإنما يتاجر بدمهم من يدفعهم للحرب دون أستعداد أو دون سبب ، أو مزايدة على أصحاب القضية أنفسهم ، أي بلا قضية .

ثالثا : أشك كثيراً في أن الأستاذ مصباح قد قرأ حديث وزير خارجية الظل البريطاني جيرالد كاوفمان لمجلة التضامن في عددها الأخير (رقم ٣٠٢ ص ١٥) بعد لقائه بياسر عرفات في تونس . وقد جاء فيه نص ما دونه من حديث عرفات . وهو بالحرف الواحد: إن الإسرائيليين في حاجة إلينا ، فهم يحتاجون إلى العمال الفلسطينيين لكي تدور عجلة أقتصادهم . وهناك قائمة – طويلة – بما يحتاجون إليه منا ، وما نحتاجه منهم . وهناك مشكلات نستطيع أن نحلها معاً . والحديث مُهدي إلى الأستاذ مصباح ، لكي يضمه إلى مؤامرات التطبيع بين فلسطين وإسرائيل . ولعله يصف حديث عرفات بأنه : أوضح منافستو لرجال الأعمال الليبراليين في فلسطين . ولعله يُطالب القراء والخبراء السياسيين بالرد على عرفات .

رابعا : حديث الأستاذ مصباح عن دولة واحدة علمانية ديمقراطية

في فلسطين ، يعيش فيها العرب واليهود في سلام ووئام . أصبح حديثاً ينتمي إلى متاحف التاريخ ، بعد أن تخلى عنه أصحابه ، وهم الطرف الرئيسي في القضية ، وقبلوا بالمنطق الواقعي ، وهو قيام دولة فلسطينية بجوار دولة إسرائيلية ، مع تعهد بالسلام وحسن الجوار. ولعن الله تلك العادة ، وأقصد بها عادة " الأستمناء الفكري" اللعينة . فهي السبب في كثير من مشاكلنا السياسية ، ومعاركنا الفكرية . حيث يمارسها البعض أيديولوجيا ، فيعيشون في أوهامهم ، وينتعشون بخيالهم ، ويرتعشون مع أمنياتهم . ثم يذوبون لذة في تصوراتهم الخاصة .

خامسا : إن الحقيقة المؤكدة أن هناك تياراً إسرائيلياً شعبياً يدعو إلى السلام . وأن المظاهرة الشعبية الوحيدة التي خرجت بمئات الآلاف ، تندد بأحداث صبرا وشاتيلا ، قد خرجت في إسرائيل . ولم تخرج من عاصمة دولة عربية واحدة . ولست أدري كيف يُمكن دفع القوى وتشجيعها ومناصرتها دون الألتقاء بها والتحاور معها؟. وهو ما فعلته منظمة التحرير أخيراً ، بعد أن أكتشفته مبكراً . ولم يكتشفه الملكيون أكثر من الملك ، في بلادنا بعد .

سادسا : أفهم أن نتعاون معاً في صد هجمة الردة الحضارية ، وأفهم أن نوسع من نقاط الأتفاق ، وأن نضيق من مساحة الأختلاف . فهذا ما تعلمناه من أبجديات السياسة. وإذا كانت نقاط الأتفاق بيننا واسعة، ومنها العلمانية ، والوحدة الوطنية على أساس الإنتماء للوطن ، والليبرالية السياسية كهدف مرحلي لكم ونهائي لي . فإنه من غير

الحكمة أن نتبادل التراشق بالنيران، فيما نختلف حوله في قضايا السلام أو الأقتصاد . وأنا شخصياً لا أفهم إطلاقاً أن تفتح الأهالي صفحاتها للخلاف معي، وللرد على قضية يسعى أصحابها (الأصوليون) للسلام والوئام (وأحلى كلام) ، بينما البيت يحترق من الداخل . وبمعنى أكثر دقة ، فأنا لا أفهم إطلاقاً أن أكون مُطالباً بالرد على الأعتصام والنور والمختار الإسلامي واللواء الإسلامي والحقيقة ، ثم أستدير في نفس الوقت لصد سهام الأهالي . لأن الرد على الصحف الأولى بالنسبة لي ممتع ، لأن عداءها مُبرر . بينما الرد على الأهالي بالنسبة لي علقم، لأنني لا أفهم – تكتيكياً – دوافع الأختلاف . وإذا فهمتها لا أبررها . وإذا حاولت تبريرها ، ضربت كفاً بكف . وإذا كنا نأخذ على الحكومة أعتناقها لمبدأ من ليس معي بالكامل فهو ضدي ، فكيف يكون الموقف من اليسار عندما يفعل نفس الشيء ؟.

وأخيراً يا أستاذ مصباح ، أرجو أن تهون عليك ، فالسلام قادم لا محالة ، لأنه إرادة أغلب الفلسطينيين وأغلب الإسرائيليين وأغلب المصريين. وهو إرادة القوتين الأعظم أيضاً، على الرغم من أعتراض التيارات السياسية الإسلامية في مصر ، واليهودية في إسرائيل ، وبعض الناصريين في مصر ، وكتلة الليكود في إسرائيل . وكان بودي – أيها العزيز – أن أتفق معك في رأيك ، حتى أتجنب لواذع قلمك الرشيق ، لولا أنني لا أستطيع أن أخون عقلي ومنطقي . كما أن العمر والصحة لا يسمحان لي بتلك الممارسات . فقد تجاوزت

أصول المسائل *

أي مفارقات تحدث في عالمنا اليوم ؟.

إضرابات العمال في الأتحاد السوفييتي ُتواجه بالحوار والإستجابة للمطـالب العـادلة، وإضرابات العمـال في مصر ، التـي تتغنى بالديمقراطية والليبرالية، تواجه بالقمع والفض العنيف والتحويل إلى النيابة .

نقابة التضامن في بولندا ُتشكل أول حكومة أئتلافية لا يرأسـها عضو بالحزب الشيوعي ، بينما الحزب الوطني في مصر واهم أنه سيخلد أبد الدهر ، وطامع في جميع مقـاعد المستقـلين في مجلس الشعب ، وجميع مقاعد مجلس الشوري . ويخوض معركة ضروساً ُتذكرنا بحـرب البسـوس ، على مقعد المرحوم مصطفى شردي في بورسعيد .

العالم كله ، غربه وشرقه ، يتجه إلى عصر جديد يُمكن تسـميته بحق ، عصر حقوق الإنسان . بينما نحـن نتراجع خطوتين كلمـا تقدمنا خطوة إلى الأمام .

---

* نشر في جريدة الأهالي ، بتاريخ ٦ سبتمبر ١٩٨٩ .

من الذي يدفع بالنظام إلى هذا المأزق ؟.

من يا ُترى يعز عليه أن يُحرز النظام نجاحـاً لاشـك فيه على المستوى العربي والإفريقي والدولي ، فيحـاول أن يشـوه هذا كله بالأعتقالات والتعذيب؟. فتكون النتيجة سيلاً من أحتجاجات منظمات حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية، وجماعات الرأي، والأحزاب السياسية في أنحاء المعمورة .

هل هي سياسة " التوازن الأمني " التي جرت عليها وزارة الداخلية، ربما تأثراً بشعار عدم الأنحياز؟. فإذا قبضت على تنظيم شـيعي ، وجب عليها أن تقبض على تنظيم شيوعي . وإذا كان عدد أفراد التنظيم الأول أثنين وخمسين ، فـلابد أن يكون عـدد التنظيم الآخـر ثلاثة وخمسين . بزيادة فرد ، يزعم الخبثاء أنه عميل للمباحث .

إنني لن أتوقف كثيراً أمام التعذيب، رغم أنه يعذبني شخصياً. لثقتي أن الكثيرين سوف يكتبون عنه ، ويرفضونه ، ويسخطون عليـه . وسوف أتجاوز هذا كله إلى ما أسميه أصول المسائل، وهي الأصول التي يجب أن يتوقف أمامها المثقفون وأصحـاب الرأي ، ويتخذون بشأنها موقفاً .

إلى متى يُصبح إصدار المنشورات جريمة ؟.

كيف يُمكن أن نتحدث عن الديمقراطية وحرية الرأي ، ونحـن نحجر على أصحاب الرأي أن يصدروا رأياً مطبوعاً، ويوزعوه على

أفراد شعبهم ؟. أتذكر في هذا المجال حواراً دار بيني وبين المرحوم عبد العزيز الشوربجي ، وأتذكر كلماته لي عن حادثة مماثلة . قال :

- تصور يا فرج ، التهمة الموجهة إليهم هي إصدار منشور . معنى هذا أن نشر الرأي ، مجرد الرأي ، جريمة . ثم يتحدثون عن حرية الرأي .

ساعتها فوجئت ، لأنني جرياً على العادة ، كنت أقرأ عبارة "ضبط منشورات " فأتصور أن في الأمر جريمة. لكنني عندما تأملت كلماته، أصبحت أتعجب مثلما تعجب . وأضرب كفاً بكف مثلما كان يفعل . وأدعو كل صاحب رأي أن يفعل مثلما فعل وأفعل .

إلى متى يُصبح ضبط تنظيم سياسي جريمة ؟.

أفهم أن يُضبط من يتسلحون بالقنابل والمسدسات ، ومن يستهدفون قلب النظام بالقوة . لأنهم ساعتها يدخلون ساحة الصراع العنيف ، ويدفعون ثمناً لابد وأن يتوقعوه من البداية . لكنني لا أفهم اطلاقاً أن يقبضوا على أفراد تهمتهم الوحيدة أنهم يتحدثون في السياسة ، ويجتمعون معاً لأتفاقهم في الرأي ، أيا كان الرأي ، وأياً كان الهدف السياسي .

إلى متى يظل حق الإضراب ، وحق التظاهر ، جرائم ؟.

أذكر أنني في زيارة لي للولايات المتحدة الأمريكية، كنت أعجب

وكان مبعث عجبي أن الأحزاب هناك، مختلفة عن الأحزاب في أنحاء المعمورة. فهي هناك ليس لها وجود إلا وقت الأنتخابات . كما أن أكبر حزبين يتداخلان في سياساتهما. فيمين الحزب الديمقراطي أكثر يمينية من يسار الحزب الجمهوري. والعكس صحيح . وسرعان ما أكتشفت سر إيمان الشعب الأمريكي بالديمقراطية والحرية . وهو سر مُوجز في هذين الحقين : حق الأضراب وحق التظاهر . لأنهما الحقان اللذان يُمارسهما كل فرد ، ويمسان حياة ومستقبل كل فرد . ويرتبطان بظروفه العملية والشخصية . ومن خلالهما يترسّخ لديه الإيمان بالديمقراطية وحرية الرأي .

إلى متى يحتاج تكوين حزب سياسي إلى موافقة الحزب الحاكم ؟. وإلى متى يحتاج إصدار صحيفة أو مجلة ، إلى موافقة النظام، ومباركة وزارة الداخلية ؟.

أقول لكم إلى متى ..

إلى أن يجتمع المثقفون والأحرار وأصحاب الرأي من كل أتجاه، لكي يستنكروا هذا كله . ويحتجوا على هذا كله . ويتخذوا موقفاً من هذا كله . إننا نعيش مرحلة السماح الديمقراطي ، الذي لن يتحول أبداً إلى مناخ ديمقراطي إلا بإرادة الأحرار .

إننا نعيش الآن مرحلة حرية التعبير في حدود يرسمها صاحب السلطة والقرار . ولن ننتقل أبداً إلى "حرية التعبير الكاملة" ، وبعدها

إلى ما هو أهــم ، وهـــــو "حرية التغيير" ، إلا من خلال موقف معلن وواضح وموحد ..

لتكن إرادة الأحرار هي الأقوى، وراية الحرية هي الأعلى. ولندع خلافاتنا جانباً، ولنتضامن من أجل وطن أرقى، وحياة سياسية أنقى ، ومستقبل أبقى . ولنتكاتف من أجل جبهة شعبية وطنية ، ذات هدف واحد وشعار وحيد هو :

"حرية " للفكر وللعقيدة بلا حدود .

وضمانات للحرية بغير قيود .

إنهم يركبون الزلمكة *

إنهم بعض فقهائنا الأفاضل ، الذين يركبون المرسيدس (الزلمكة). ويسكن بعضهم في فيلات فـاخرة في الهـرم ومدينة نصر ومصر الجديدة. ويسبحّون الله فـي الليل، ويلعنـون المفتـي في الصباح. ويغازلون الجماعات الإسلامية في أوقات القيلولة . ويودعون مئات الألوف في شركات توظيف الأموال . ويقبضون بالدولار المبارك مقابل أعمالهم الأستشارية في البنوك الإسلامية . وأحـدهم وكان مفتياً سابقاً ، وصل مرتبه إلى سبعة آلاف دولار شـهرياً ، أي حـوالي ثمانية عشر ألف جنيه مصري بالتمام والكمال . وقد يظن القـاريء أنهم يعملون مقابل هذه المبالغ آناء الليل وأطراف النهار . والحقيقة أن ذلك افتئات عليهم ، لأنه لو صح ، لما بقى لديهم وقـت لقـراءة القرآن ، وذكر الرحمن ، وقيام الليل ، وصلاة الفجر .

والحق أن البنـوك الإسلامية قـد راعت ذلك كلـه . فقصرت أستشاراتها على حوار يتيم ، يُغني عن سؤال أي علماني لئيم . وهو

* نشر في جريدة الأهالي ، بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٨٩ .

حوار يحدث في نهاية السنة المالية ، ويبدأ بسؤال فضيلته عن رأيه في الميزانية . فيأتي الرد المبارك : يكفيكم حسن النية ، وطهارة الطوية . فيعود السؤال : وما رأيك في حركة الأموال ؟. فيرد الشيخ الجليل : كلها حلال . فيسألونه : وأرباح البنوك السنوية ؟. فيرد الشيخ: كلها من المضاربة الشرعية ، وكلها حلال (مية في المية) . والحمد لله على أنه لا توجد أية خسارة . فيردون عليه : كله بفضل الأستخارة. ولسنا ندري كيف كنا سنحكم على جدوى المشروعات دون أستخارتكم ، ولماذا لا تفتحون مكتباً أستخارياً يطرد المكاتب الأستشارية العلمانية من السوق ؟. فيبتسم الشيخ الجليل في زهد وورع ، فيغمزونه في دلع : هيا أعطنا البركة يا مولانا .

والبركة هنا أصطلاح متداول ، مضمونه أن يُخرج الشيخ قلمه الذهبي، ويوقع الميزانية ، فتصبح حلالاً بلالاً. ولا ينسى وهو يوقع، أن يلمح بطرف عينه، نسبة الخمسة في المائة . وهي النسبة التي تحصل عليها هيئة الرقابة الشرعية. وهي نسبة ثقيلة العيار ، تحتوي عادة على ما لا يقل عن خمسة أصفار ، تُضاف إلى المرتبات الشهرية بالدولار . ولا مانع لدى بعض البنوك من رحلة (بلهنية) ، يزور فيها الشيخ فرع البنك في الجزر البهامية . حيث لا ضرائب ولا يحزنون . فالضرائب تكون في البلاد الفقيرة مثل مصر . ويحزنون أيضاً مفهوم خاص بالبلاد الفقيرة مثل مصر ، ومصر أم الدنيا كما يقولون. ففيها يقبل الناس يدي الشيخ ، وفيها يركب الشيخ

الزلمكة ، ويحمد الله على ما رزقه من بهيمة الأنعام .

والسيارة لا ينطبق عليها هذا الوصف بالطبع ، لكن الشيخ لا يقصد السيارة ، وإنما يقصد الزلمكة . وفيها يحاضر الشيخ جمهوره عن الزهد ، وهجر الدنيا ، وعن مآثر أبي ذر الغفاري . وعن علي ابن أبي طالب وأهل بيته . وكيف كانوا يبيتون على الطوى ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟. وفيها يتوعد الشيخ الأغنياء ، ويصفهم بالغباء ، ويُقسم أن دخولهم الجنة أصعب من دخول الجمل في سم الخياط . ويبكي الفقراء بل وينشجون، بينما صوت الشيخ يعلو : يا دنيا غرُيِّ غيري. ويتخيل الناس أغنياء الأنفتاح في جهنم ، مشغولين بإعداد المشروبات (الساخنة) لهم . بينما هم جالسون في الجنة ، يستمتعون بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .

إن كاتب هذه السطور لا يحسد ولا يحقد . لكن لعابه يسيل رغماً عنه وهو يتخيل ما رزقهم الله به ، خاصة بهيمة الأنعام . وعيناه تتسعان في دهشة ، رغماً عنه أيضاً ، وهو يقرأ في الصفحة الأولى لجريدة الأخبار ، أن شيخاً فاضلاً شهيراً قد تبرع لمجمع ديني بمليون جنيه . مرة واحدة هكذا مليون جنيه . وأنه قد تعرض مرة للسرقة ، وكانت حصيلتها أموالاً سائلة ومجوهرات ذهبية قرر قيمتها بمائة وخمسين ألف جنيه [1] . وقد تذكر كاتب هذه السطورة

وقتها وعد الله لمن يكنزون الذهب والفضة ، لكنه أستنكر أن يمر خاطر مثل هذا في ذهنه . وأرجع الأمر إلى الأخطاء المطبعية ، وهي ظاهرة أنتشرت في الصحف في الفترة الأخيرة، وأساءت إلى سمعة فقهائنا الأجلاء . فعهدنا برجال الدين أنهم أهل زهد وترفع عن مغريات الحياة .

يبقى لدينا سؤال نوجهه إلى شيوخنا الأفاضل ، عن حـــكم الدين فيمن يعظ المسلمين ، ويؤم المصلين ، ويركب الزلمكة . بينما غالبية من يصلون وراءه ، يحلمون بزلمكة حقيقية ، يطبخون عليها طبقـــاً من الحساء اللذيذ ، يطفو على سطحه البهريز .

بالذمة مش حاجة تغيز ؟.

أقصد تغيظ .

---

(١) فضيلة الشيخ الشعراوي .

الشباب والتطرف *

قصة المقال : حين شرفتني " المنار " بطلب الكتابة لها ، ســعدت كثيراً وترددت قليلاً. أما السعادة، فترجع إلى ما أحمله لمُصدريها من أحترام وتقدير. وأما التردد، فلأني لا أرى في الكتابة حِرفة ، وإنما أراها وسيلة للتعبير عما أراه حقاً . دون ألتفات لمشاعر القراء ، بل لعلــي تعمدت أن أفزُعهم بالحقيقة ، وأواجههم بهــا دون تورية أو تزييف . وأنشر ذلك في كتبي ، فأتلقى مدحاً كثيراً وقدحاً أكثر . وأسعد في كل الأحوال بما أعتبره واجباً عليّ . ولست على أستعداد لتغيير أسلوبي في هذا المقال . فقد تعودت على القدح ، ووطنت نفسي على تلقي الأحجار . لذا لزم التنويه .. دون أعتذار ..

المقال : ليس في العنوان ما يُثير . وليس فيه تناقــض يدعو إلى الدهشة، أو غرابة تدفع إلى قراءة المقال. فالشباب والتطرف صنوان . ذلك إذا فهمنا التطرف بمعناه الدارج، وهو " الإندفاع" . بيد أن التطرف في السنوات الأخيرة ، قد أصبح مُرادفاً لمعانٍ أخرى ، لعلها لم ترد في أذهاننا ، أو قل غير مُبالغ ، أنها لم ترد في أحلامنا ذات يوم .

* نشر في مجلة المنار ، تصدر في باريس ، ١٩٧٨ .

أن يعلن أحد الشباب عن أعتناقه للفكر السياسي الإسلامي ، فهذا رأي في تقدير البعض ، وأندفاع في تقـديري . لأنني أرى أن الدين أعز من أن يُقحم في السياسة ، وأنزه من أن يُلوث بمغامرات الساسة، وأبعد ما يكون عن تمثيله لنظرية سياسية متكاملة. لأن ساحته مختلفة ، وهي ساحة أرقى وأبقى . ولأن أصحاب هذه الدعاوي لم يقـدموا لنا دليلاً أو برنامجاً متكاملاً ، يُرضي أذهان البسـطاء من أمثالي على الأقل . بيد أن هذا مجال حديث آخر . ويكفينا الآن أن يتراوح حكمنا على الباب بـين الرأي والأندفاع . وأن نراقـب هذا الشـاب وهو يتجاوز الإيمان بما يقول ، إلى نعت المخالفين له بالكفر والجاهلية . الأمر الذي قد يدفع من وصفوا موقـفه الأول بـالرأي ، إلى وصف موقفه الجديد بـالإندفاع . بـينما يدفعني هذا الموقـف إلى وصفه بالتطرف . وإلى مراقبته وهو يتطور ، أو يتطرف فيمتشق سلاحاً . ربما كان سيفاً إذا كانت أصوليته نقية ، أو مدفعاً رشاشـاً إذا أخضع أصوليته لمواءمات العصر . وها هو يُحل دم المختلفين معه ، طاعناً إياهم بالسيف ، أو مطلقاً عليهم الرصاص . دافعاً من وصفوا موقفه السابق بالإندفاع ، إلى وصف موقفه الجديد بـالتطرف . ودافعاً لي إلى وصف موقفه الجديد بالإرهاب ، لا أكثر ولا أقل .

لا بأس أن نختلف حول تقييم هذه المواقف . فالتطرف مدخل إلى الإرهاب. والإرهاب تعبير عن التطرف. وكلاهما أندفاع . وكلاهما شر بلا شك ، إثم بلا ريبة .

من أين يبدأ مثلث الفزع السابق : الإندفاع – التطرف – الإرهاب؟. لاشك عندي في أن نقطة البدء كامنة في مناهجنا التعليمية التي يتلقاها النشء . وأننا بالتالي أصحاب الفضل (إن سمي ذلك فضلاً) في غرس جذور التطرف في نفوسهم. وأمامي نموذج حي على ذلك، ساقته الأقدار إليّ ، حين تعثر أحد أبنائي في أمتحان أحد الشهور في اللغة العربية . فتناولت الكتاب قاصداً مساعدته (وهو كتاب القراءة والمحفوظات المقرر على الصف الخامس الإبتدائي). وبدأت بالدرس الأول وعنوانه " نشيد النصر " وكان نص ما ورد تحت هذا العنوان ما يلي: من واجب مصر أن تشكر الله ، وتعرف فضله عليها . لقد نصرها في حرب رمضان، وكان النصر عظيما . وقد جاء هذا النصر ثمرة الإيمان الصحيح ، والعزم القوي، والصبر، مع العمل المتصل ..

لقد عبر جنودنا وأنتصروا ، وتغلبوا على كل صعب ، ودخلوا سيناء . وكان النداء الذي يتردد الله أكبر ، الله أكبر . وقد قضى هذا العبور على خط بارليف، وقضى على ما أذاعه من الكذب عن قوته. فمن حق مصر أن تردد دائماً : الله أكبر ، الله أكبر .

وواضح أن الحديث هنا عن حرب عام ١٩٧٣ ، وبالتحــديد عن عبور القوات المصرية لقناة السويس ، وتدميرها لخط بـــارليف . وهو أنتصار مجيد بلاشك . بيد أن الدرس المشار إليه ، يُرجعه إلى أربعة أسباب ، تم ترتيبها وفقاً لأهميتها على النحو التالي :

(١) الإيمان الصحيح .

(٢) العزم القوي .

(٣) الصبر .

(٤) العمل المتصل .

وينتهي الدرس بأســتخلاص النتيجة ، أو الدرس المســتفاد من المعركة . وهو ترديد مصر دائماً : الله أكبر ، الله أكبر .

منهج مرفوض

وواضح من الترتيب ، أن العامل الأساسي والحيوي والجوهري في النصر ، قد أحتل المرتبة الأخيرة عن عمد . وأنه ُذكر، وكأنه كتب سهواً . وبديهي أن ترتيب أسباب النصر بهذه الصورة ، سوف يدعو المدرس والطالب إلى إغلاق أذهانهم وحجبــها عن التفكير ، الذي سوف يقودهم إلى أسئلة تعني إجاباتها رفض الدرس بما يحتويه .

إن الطالب سوف يعجز عن تفسير ثغرة الدفرسوار . لأن حدوثها يعني أن المصريين قد فقــدوا إيمانهم الصحــيح لفترة ، أو انهارت

عزائمهم ، أو تخلوا عن فضيلة الصبر . وسـوف يعجز أيضاً عن تفسير هزيمة ١٩٦٧ إلا بتفسير واحـد ، هو كفر آبـائه الصريح . وربما تمادى فتصور الأمر من جانبـه الآخر ، على أنه نصر إلهي لليهود ، ورضا منه على فعالهم . ولعل البعض الآن قد تحـفز للرد عليّ متصوراً أنني أحاول الألتفاف بمهارة ، للتوصل إلى نتيجة مؤداها رفض الإيمان أو أستنكار الإسـتعانة بـالله . وأنا أسـتغفر الله لمن يشطح به الخيال إلى هذا الظن . لأنني أعتقـد أن ما ورد في الدرس السابق ، يُمثل منهجاً يأباه الإسلام كل الإبـاء . بـل إنه يطرح في الحقيقة منهجاً عكسياً له على خط مستقيم . والتاريخ مليء بالنماذج الدالة على ذلك . وما لنا نذهب بعيداً وأمامنا درس غزوة أُحد .

درس التاريخ

كان يسيراً على الله أن ينتصر المسلمون في أُحد ، وكان الإسلام أحوج ما يكون إلى هذا النصر . وما كان للمشركين أن يحتجوا في أُحد بما أحتجوا به في بدر ، من مباغتة المسلمين لهم . ولو ثنى المسلمون على نصر بدر بنصر أُحد ، لأنتهى أمر الشرك أو كاد . وعلى مستوى العقيدة والإيمان ، كانت الظروف ممهـدة لأنتصار لاشـك فيـه . فالمسلمون المحاربون هم السابقون الأولون ، وأولئك هم المقربون . وقائد الجيش هو النبي العظيم ، أي أنه خير قـادة التاريخ . ولم يكن المسلمون في حاجة إلى صيحة الله أكبر ، لأنها كانت محور حياتهم ، بل هي دعواهم التي نفروا خفافاً وثقـالاً للدفاع عنها . ونضيف إلى

ذلك كله، ما هو ثابت بالنص القرآني من مساندة الملائكة للمسلمين في أُحد.[1] ورغم ذلك كله (جيش الصحابة، وقيادة النبي، وصدق الإسلام، ومساندة الملائكة) أنهزم المسلمون، وأنتصر المشـــركون . وكانت هزيمة أُحد أثقل الهزائم . وفسر لنا القرآن ، وكتب الســـيرة ، سبـــب الهزيمة ، وهو ترك المسلمين لمواقعهم سعياً وراء الغنائم . أي بتعبير العصر نتيجة لخطأ فني . هذا الموكب الإيماني كله ، يلقـــي هزيمته في أحرج الظروف، بسبب خطأ فني أجاد المشركون أستغلاله .

أي دلالة أوضح من هذه الدلالة على منهج الإسلام ؟. الإستعداد الجيد للحرب إذن هو الأساس ، والتدريب الجيد على مواجهة المواقف الممكنة هو الفيصل ، وأتخاذ القـــرارات المناسبـــة ، وفقـــاً لســـير العمليات هو المنهج . وإذا أختل هذا، فلا يشفع للجيش أن يكون قائده أعظم الخلق ، أو أن يكون جنده خيار الصحابة ، أو أن يكون ســـنده ملائكة الرحمن ، أو أن تكون صيحته الله أكبر أو لا إله إلا الله .

ألا يدرك كاتبو الدرس الآن ، أنهم يعكسون القـــصد ، ويقلبـــون الحقائق . وأكثر من ذلك ، أنهم يمهدون الأرض للتطرف ؟.

الإيمان بالعقل مرشداً للعمل

نعم، فسوف يستقر في ذهن النشء أن مدخلهم للحاق بالحضارة،

---

(١) في سورة آل عمران .

ومواجهة تحديات العصر ، يبدأ بالنصيحة ، وينتهي بالبـــركة . أما العلم ، والعمل ، والتدريب ، فتأتي جميعا في النهاية ، أو لا تأتي ، فـــلا ضرر ولا ضرار .

نعم .. فسوف يتدرب النشء على إلغاء العقل ، وعلى أستبـــعاد التساؤلات ، وعلى تجاهل المنطق ، وعلى قبول الرأي ، أي رأي ، بالتسليم وليس بالتمحيص . وسوف يتبع البعض في المستقبـــل رأياً شاذاً لمجرد أنه مكتوب في تراث أبن تيمية ، أو منطوق على لســـان أحد أمراء الجماعات الإسلامية .

فكرة خاطئة عن الدين

ويبقى ما هو أخطر ، وهو ما تيقـــنت منه وأنا أســـأل ابـــني عن تصوره في معلوماته عن الإسلام ، من خلال ما تلقـــنه من دروس الدين في المدرسة. فإذا بثلاثة أرباع حديثه، إن لم يكن أكثره، منحصراً في غزوات الرسول: بدر وأُحد والخندق وخيبر . وإذا بالدين الإسلامي وقد تحول في ذهن الفتى ، بقدرة مناهج التدريس ، إلى دين حرب . وإذا بهم يُلقنون النشء مفهوماً حربياً عن الإسلام ، ما أسهل أســتلهامه فيما بعد ، حين يمتشق الفرد منهم سلاحاً ، ويستحل دم المخالفين له ، ويتبنى الجهاد المسلح ضد مواطنيه . ويرى في ذلك ركناً من أركان العقيدة .

والغريب أن هذا المنهج (المنهج الحربي) ، قد شاع مؤخراً لدى الكبار أيضاً ، حتى وجدنا من يتنادون بتدريس فنون الكر والفر في

الغزوات في الكليات العسكرية . وحـيث تقـدم البحـوث في كلية أركاب الحرب عن عبقري الفن العسـكري في غزوة كذا أو غزوة كذا . وقد يندهل الكثيرون حين يعلمون أن مجموع قتلى المسـلمين والمشـركين (ونكرر : مجموع) في جميع الغزوات التي تمت في عهد الرسول (ونكرر : جميع الغزوات) من واقع سيرة أبن هشـام يبلغ ٢٥١ قتيلاً (مائتان وواحد وخمسون قتيلاً فقـط). منهم ١٣٩ شهيداً (بنسبة ٥٥%) يمثلون شـهداء المسـلمين ، و ١١٢ قـتيلاً (بنسبة ٤٥%) يمثلون قتلى المشـركين ، وواضح أن إجمالي عدد القتلى يقل عن ضحايا سقوط طائرة واحدة في أيامنا هذه .

وتفصيل شهداء المسلمين : (بدر ١٤ ، أُحُد ٧٠ ، الخندق ٦ ، بنو المصطلق - ، خيبر ١٩ ، مؤتة ١٤ ، حنين ٤ ، الطائف ١٢ ، تبوك -) بينما تفصيل قتلى المشركين (بدر ٧٠ ، أُحُـد ٢٢ ، الخندق ٣ ، بنو المصطلق ٣ ، خيبر - مؤتة ١٤ ، حنين -، الطائف - ، تبوك -.

و واضح أيضاً أنه لم تكن هناك حرب ولا ضحايا في تبوك .

وواضح أيضاً أن المسلمين قد أنتصروا في غزوتين (بدر وبنو المصطلق). وأنهزموا في غزوتين (أحد ومؤتة). وأفشلوا حصارا (الخندق) . ونجحوا في حصار (خيبر). وفشلوا في حصارين (حنين والطائف). وأن الغزوات قد بدأت بإنتصار في بدر ، وأنتهت بهزيمة في مؤتة. وأن عظمة الرسول لم تكن في أنتصاراته المستمرة ، فهذا لم يحدث. وإنمـا تمثلت في تحويله لسجـل أختلطت فيـه الأنتصارات بـالهزائم ، حتى كـادا يتعادلان، إلى أنتصـار نهائي ، وتاريخي ،

ومستمر . وهو ما لا أعتقد أنه قد حدث على مدى التاريخ .

غياب النظرة الشاملة إلى الإسلام

ودلالة ما اضطررنا إلى سرده فيما سبق ، أن مفهوم الإسلام الحقيقي قد غاب عن الأذهان ، فكان ما كان . فهو في أذهان البعض دين حرب . وهو في خيال البعض موسوعة طب . وهو في عقول البعض منهج أقتصاد . وآخر ما يفكر فيه الجميع، أنه عقيدة وعبادة، وقيم ومثل، وتعامل بالمعروف ، وموعظة بالحسنى وفيض إحسان، وسبيل إيمان . وأن الرسول قد تمثل في أذهان البعض، وكأنه فارس حرب ، أو عالم طب ، دون ألتفات إلى أن عظمته الحقيقية كامنة في إنسانيته . وأنه مُبلغ أمين لرسالة عظيمة . ويا حسرة على ولدي الصغير وعلى جيله كله ، ذلك الذي يُقارن في خياله بين الرسول وبين نابليون. ولايعرف من الإسلام إلا سيفاً مشهوراً، وكفناً منوراً، وقبراً محفوراً . ويا أسفاه على من مهدوا للتطرف بإخفاء الحقائق ، وأوقروا في النفوس أن دين السلام سبيل حرب ، وأن جيوش المسلمين سيوف بلا قلب ، وربما بلا عقل أيضاً.

تنويعات على أنغام شاذة

لا بأس هنا أن نقطع رتابة السرد، بحوار نُجريه مع القاريء، سائلين إياه عن رأيه فيما سنقصه عليه من أحداث حقيقية حدثت في

مصر في العام الأخير . وكلها موثقة بالأسانيد والمصادر . وليس لها علاقة بخيال أو أحتمال . وجميعها تختلط فيها المأساة بالملهاة ، ويربط بينها جميعا خيط رفيع ، يُمكن تسميته بالجنوح ، أو الجموح . لكن أصدق وصف لها ، أنها تنويعات على أنغام شاذة . ولعلنا نستأذن القاريء في أستعارة أسلوب كتاب السيناريو في الأفلام السينمائية، فلربما كان أصدق في التصوير ، وأدق في التعبير ..

(١) كلاكيت..

بعض شباب الجامعات الإسلامية في جامعة أسيوط ، يرفضون الذهاب إلى الجامعة في سيارة أو على دراجة ، ويفضلون تأكيداً للأصولية، أن يذهبوا ممتطين " دابة " . حجتهم في ذلك أن السيارة والدراجة، ينطبق عليها وصف "لتركبوها". أما الدابة، فينطبق عليها وصف " لتركبوها وزينة ". وتزداد جرعة الأصولية لدى البعض فيفضل أمتطاء " الناقة " .

المشهد : أمير إحدى الجماعات ، يرتدي جلبابا أبيضاً قصيراً ، ويمتطي ناقة تتهادى به ، بينما الكاميرا تتابعه . تقترب الكاميرا من وجهه، فتظهر لحيته السوداء الكثيفة، وبقايا من شاربه الحليق . وتبدو عيناه مكحلتين بكحل الأثمد. تمر الناقة، وتقترب الكاميرا من ظهره، فتظهر الذؤابة المتدلية من عمامته، وشعر رأسه المنسدل على كتفيه. ومن بعيد ، يظهر مبنى حديث . تقترب الكاميرا من لافتة على باب المبنى مكتوب عليها "كلية الطب" . ستوب ..

(٢) كلاكيت..

المشهد الأول : محطة السكة الحديد . تقتـرب الكاميرا من لافتـة المحطة ، يظهر أسم المحطة بعرض الشاشة " المنيا " ..

المشهد الثاني : شاب من الملتحين ، يرتدي جلبابـاً أبـيضاً أمامه صحيفة يومية ملقـاة على الأرض. تقـترب الكاميرا من يده، وهو يشير إلى الصحيفة، حيث يظهر العنوان الرئيسي بعرض الشاشـة "ألف مليون جنيه للإنفاق على المجاري " . تعود الكاميرا إلى وجـه الشاب، وتقترب منه، فتظهر على وجهه ملامح الضيق والأشمئزاز ..

المشهد الثالث : جماعة من الملتحين بثيابهم البـيضاء ، يسـيرون صوب الصحراء في تثاقل، وبخطوات شديدة البطء، وأيديهم متشابكة. تقترب الكاميرا من ظهورهم التي تبدو منحـنية ، ومن بـعيد تظهر الشمس ، وهي في سبيلها للغروب ..

صوت المذيع ينطلق : ها هم يذهبون لقضاء حاجتهم في الخلاء مصداقاً لبيانهم الشهير "سلوك الجهلاء ، وآداب قضاء الحـاجة في الخلاء " . ما أروع القصد ، وما أرشد السبيل ..

المشهد الرابع : (إضاءة قوية) نفس المجموعة تعود وهي مسرعة الخطو ، وأفرادها يتقافزون في خفة وسعادة . تقـترب الكاميرا من وجوههم ، فتبدو عليها مشاعر الراحة والصحة ، وملامح الغبـطة والأبتسام . يربت كل منهم على كتف زميله في سـرور وحبـور ، مردداً شُفيتم .. شُفيتم .. ستوب ..

(٣) كلاكيت..

(أعلن بعض مدرسي الألعاب الرياضية في محافظة ســوهاج رفضهم لتحية العلم في الصباح، ولترديد هتاف : تحيا جمهورية مصر العربية . وأستبدلوه بهتافات دينية . وفي إحدى المدارس ، طرد بعض المدرسين المتطرفين مدرس الموسيقى ، وأضطرت مديرية التعليم لتعيينه في وظيفة إدارية بالمنطقة) .

المشهد الأول : طابور الصباح في إحدى المدارس الإبتدائية . يقف الطلاب على هيئة ثلاثة أوضاع مربع ، وعشرة مدرسين يقفون في الضلع الرابع ، يتوســطهم مدير المدرســة . وجميعهم بالملابــس الأفرنجية . في منتصف الساحة يرتفع علم مصر خفاقــاً مرفرفاً ، وبجواره مدرس التربية الرياضية، مرتدياً ملابس تدريب رياضية ، يهتف ويردد الطلبة وراءه : تحيا جمهورية مصر العربية .. تحــيا جمهورية مصر العربية .. تحيا جمهورية مصر العربية ..

المشهد الثاني : خريطة بحدود مصر ، مكتوب عليهــا جمهورية مصر العربية .. تشتعل النار في أحد أطرافها ، وتمتد لتلتهم الخريطة بأكملها ..

المشهد الثالث : لوحة مكتوب عليها بخط جميل : حدود الوطن لدى المسلم محدودة بالعقيدة ، وحــيث يوجد المســلم يكون الوطن ، أما الوطنية فهي إرث الإستعمار ..أبو الأعلى المودودي .

المشهد الرابع : نفــس المشهــد الأول عدا أختفاء العلم ، وأرتداء

مدرس التربية الرياضية جلبابا أبيضا قصيرا ، تحــته ســروال طويل من نفس اللون . ترتفع يده اليُمنى ممسكة بالمصحف، ويهتف ويردد وراءه الطلبة . القرآن دستورنا .. الرسول زعيمنا .. الموت في سبيل الله أحلى أمانينا .. الله أكبر .. الله أكبــر .. الله أكبــر ولله الحمد.. ستوب ..

(٤) كلاكيت ..

المشهد الأول : لوحة بعض الشاشة : العرض القادم " وغداً تتحطم الأصنام " .

المشهد الثاني : تمثال رمسيس ، تقترب الكاميرا من وجهه ببطء.

صوت : وغداً تتحطم الأصنام ..

المشهد الثالث : تمثال ســعد زغلول ، تقــترب الكاميرا من وجهه ببطء ..

صوت : وغداً تتحطم الأصنام .

المشهد الرابع : لوحة بعرض الشاشة : النهاية .. ستوب .

البحث عن سبيل للحوار

ونتساءل معاً : تحت أي بند من البنود يُمكن أن نُصنف الأحداث السابقة ، وكلها حقيقية وموثقة (ركوب الدابة في جامعة أســيوط : مجلة المصور . قضاء الحاجة في الخلاء في المنيا : منشور

للجماعة الإسلامية . أستبدال النشيد الوطني وتحية العلم بالهتافات الدينية في سوهاج: جريدة الأهالي). وهل هو الأندفاع أم التطرف ، أم الإرهاب ، أم كل هذا مضافاً إليه غياب العقل والوعي معا ؟.

أي أسلوب يُجدي يا ترى مع هؤلاء وأمثالهم ؟. هل هو المجادلة بالتي هي أحسن ، أم المجادلة بالتي هي أسوأ ؟ . وما هو الأسوأ مما نسمعه عنهم ونراه منهم ؟.

هذه أسئلة لا تُغني عن محاولة أستعراض أسباب المشكلة ، وسبل الحل . وهي محاولة صعبة ، أمام تيار يمرح أفراده في مساحة واسعة ، تبدأ بالرفض وتنتهي بالخبال . وتمر بينهما على العنف لفظاً ويداً وسيفاً ومدفعاً .

جذور المشكلة

ونبدأ بالأسباب : وهي متعددة ومتشابكة ، وبعضها تاريخي ، وبعضها حديث. غير أننا نحاول وضع أيدينا على بعض الأسباب ونطرحها في صورة تساؤلات ..

* هل السبب هو غياب القضية الوطنية ، بعد الحصول على الأستقلال ، وأنتكاس القضية القومية بالهزيمة ، وأبتعاد الخط الخارجي بالمعاهدة ؟. وهل نحن حقاً على عكس الشعوب المتقدمة ، لابد وأن نطمئن لقيادة "كاريزمية" ، أو نتجمع في مواجهة عدو

بأننا عارون حتى من دفء الشعارات ، وأندفعنا في أحضان أول وعد بالدفء ، حتى ولو كان وهماً ؟.

* هل السبب كامن في أننا لم ندفع ثمناً للحضارة ، وإنما أنتقلت إلينا على يد الرواد ، فسهل علينا خلعها ، لأنها لم تكن إلا قشرة واهية ، وخارجية ؟. وأنه قد آن الأوان لدفع الثمن ، ربما مضافاً إليه فوائد التأخير ؟.

* هل أنسحقنا جميعاً لهزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧ . فتعاملنا مع العالم والحضارة بمنطق المهزوم ، الذي ينسحق إلى داخله عند التحدي ، ويفضل الإرتداد خلفاً بدلاً من التقدم ، عن إحساس عميق بالعجز ، وثقة غائبة بالنفس ؟.

* هل كنا ضحية تزييف التاريخ ، حيث نقله إلينا الرواد مُصفى من شوائب القهر والأستبداد والأنحلال . حتى هُيىء إلينا أننا فقدنا حلم الجنة ، وأستبدلناه بحجم الواقع المتردي ؟. وأننا في هذا وذاك ، لم نتخل عن طبيعتنا الشرقية ، التي تميل إلى التجريد . فنجرد الواقع من كل مزية ، والحضارة من كل فضيلة ، والتاريخ من كل شائبة ؟.

* هل ترهلت عقولنا حتى عز عليها التفكير ، وتفرقت أفكارنا حتى عز عليها التجديد ، وترفعت طاقاتنا عن الإبداع ، وقدراتنا عن تصور النسبية في الصواب والخطأ ، وأذهاننا عن أستيعاب مفهوم الفكرة والنقيض . فأسترحنا إلى أول طارق يعد بإلغاء كل ذلك ، وإحالة

كل أمر إلى أعلـــى . وعـــز علينا عجـــز القدرة فأستبدلناه بقـــدرة العاجزين ؟.

* هل هي الأزمات الأقتصادية التي نُعانيها، والتي كانت تُتنبيء باليسار . فإذا هو عاجز ، بل إذا ببعض رمـــوزه تتســاقط كالثمـــار الناضجة في ساحـــة التطرف ، وتراهن على الحـــل في الفردوس . وتعد من لا يملك كوخاً يؤويه بقـــصر في الجنة ، ومن لا يجد عدلاً يحميه بالميزان العادل في الآخرة ، وتقـــرن بـــين تجمد الحـــركة وأنسيال البركة ؟.

* هل هي مزايدات السياسة ، حين أصبح هم قياداتها ذقنا تطول، أوتوبةً تُعلن ، أو حج تنقله وكالات الأنباء . بـــينما في النفس ما فيها من طمع إلى أصوات أكثر ، ومن توسل إلى قـــلوب خافقـــة ، ومن مخاطبة لعقول مغلقة . وليس مهماً من يدفع الثمن ، المهم أن يحصلوا هم على مقدم الأتعاب ؟.

*هل هو الرصاص الذي أصاب البـــعض في الظاهر ، وأصاب الجميع في الواقع . فجبن من جبن ، وزايد من زايد ، وبايع من بايع ، وباع من باع ؟.

* هل هي القوى الكبرى التي لا تريد سلاماً للمنطقـــة ، ولاتنمية لشعوبها . ويعنيها أن ننسحب من صراع القوى العالمية ، إلى الخلاف حول حديث الذبابة . ومن قيادة العالم الثالث ، إلى بحث أحوال العالم الآخر . ومن سباق الفضاء ، إلى سباق قضاء الحاجة في الخلاء ؟.

* هل هو الإعلام ، المغيَّب الوعي ، المُغيِّب للوعي . المُعـــادي

للتقدم ، المعتدي على التقدم . المساند لكل دعاوى الردة الحضارية ، في حنكة لاتليق إلا بالمحترفين ؟.

* هل هو بعض ما سبق ، أم كل ما سبق ، أم أن ما سبق لا يكفي للتفسير ؟. وأن هناك أسبابا أخرى تطرح أسئلة أخرى . وكيف يا تُرى يتم توظيف الشيء ونقيضه ، لخدمة تيار الردة الحضارية . فتصبح هزيمة يونيو (حزيران) سبباً ، ثم يحدث النصر ، فيُضاف سبب جديد ، يتمثل في أن النصر أتى على جناح الملائكة ، وأستجابة لصيحة الله أكبر ، وانتصاراً لخطة " بدر " ، وتأكيداً لفضل رمضان. وهكذا ، وبلا سابقة أعرفها ، تتحالف الهزيمة والنصر ، على تعميق المأساة ..

ولماذا ارتبط التطرف بالشباب ؟

لأننا أغتلنا أحلامهم في مستقبل أفضل . وأغتلنا أفكارهم بمناهج تعليمية متخلفة . وأغتلنا ذاكرتهم بتزييف التاريخ . وأغتلنا وعيهم حين علمناهم أن يروا الحقيقة من زاوية واحدة . وأغتلنا أبصارهم حين حصرنا الألوان في الأبيض والأسود، تماماً كما أختزلها المتطرفون في الجنة والنار . أما اللون الرمادي ، فقد محوناه من أذهانهم . وتخلفنا حتى عن المعتزلة ، الذين تحدثوا قبل ألف عام عن المنزلة بين المنزلتين . وليس لنا أن نندهش ، لأننا الفعلة مع سبق الإصرار والترصد . وهي حقيقة مريرة بقدر ما هي صحيحة ..

وهل هناك حل ؟.

بالتأكيد ، بيد أن هذا مجال حديث آخر ..

الفتاة المصرية وقضية الدين *

هذه محاضرة مزعجة ، فكرت كثيرا أن أعتذر عنهـا ، لولا ذلك الضعف الذي ينتابني دائما أمام الحقيقة ، أو على الأقل ما أعتقد أنه حق . ومبعث الإزعاج لا يكمن في مضمون المحـاضرة ، فهي في النهاية رأي ، ووجه من وجوه الحقيقة . وهو رأي لا يحتاج إلى جهد كبير في أستنباطه ، ولا إلى جهد كبـير في الرد عليه ، لأن الأختيار واضح في البداية بين سبيلين . لكن الإزعاج يأتي من طبيعة المناخ الفكري السائد ، وهو مناخ يُنتج واقعاً ، ويفرض توقعاً .

أما الواقع فهو ما يسـود المناخ الفكري والثقـافي من أن الرأي الصحيح هو الرأي المريح . وأنه بقدر ما يكون الرأي مريحاً ، بقدر ما يكون صحيحاً . وبقدر ما يُزعج، بقدر ما يكون مرفوضاً وخاطئاً . وأما التوقع ، فهو أن ينتظر منك القراء أو السـامعون ، أن تترجم ما في أذهانهم ، وأن تُعبر عن دواخلهم ، وأن تنطق بما يرددون بـينهم وبين أنفسهم ، دون أقتناع في أغلب الأحيان . وإذا أراد الحاضرون

* محاضرة ألقيت بجمعية تضامن المرأة العربية بالقاهرة ، بتاريخ ٢٩/ ٨/ ١٩٨٧ .

نموذجا على ما أذكره ، فدونهم أشهر كتاب الأعمدة في الصحف المصرية . وسوف يجد القاريء أن شعبية الكاتب تتناسب طرديا مع مدى تعبيره عن دواخل الأغلبية ، بصرف النظر عن صحتها أو أعتقاده بأنها صحيحة . ولهذا تعود القراء أن يؤجلوا قراءة عمود كاتبهم المحبوب ، أو مقاله ، إلى ما قبل النوم . حيث تبعث عليه ، وتسرع به، لأنها تطمئن القاريء إلى أنه على طريق الصواب، لأنه قرأ فيها صوته الداخلي . بينما لو قرأ لمثلي بعض ما أكتبه ، لقفز من فراشه وجافاه النوم ، ولأنزعج كثيراً وأنا أداعب ذلك العزيز الذي ُتوصد عليه النوافذ ، ويُمنع عنه الهواء والنور ، وأقصد به العقل . لأنني أستخدم أداة ، تعود كثير من القراء على تجاهلها، وهي المنطق . ولإنني أطرح عليه ما لم يتدرب على سماعه ، ناهيك عن محاورته ، وأقصد الرأي الآخر .

والحقيقة أن الكاتب من الطراز الأول مُريح للجميع ، ومرتاح إلى قبول الجميع . بينما الكاتب أو المفكر من النوع الثاني ، مُزعج للجميع ، ومنزعج من هجوم الجميع . وعلى الرغم من أساه وهو يرى الشرخ واسعاً بين رؤيته ورؤية المحيطين به ، إلا أن عزاءه الوحيد، يتمثل في طبيعة الفكر الإنساني . لأن هذا لا يتطور إلا بأمثاله ، ولا يتجدد إلا بظهور نظرائه . وبقدر ما يمتلك الشجاعة ، ويمتلكها معه الآخرون ، بقدر ما يكون تأثيره واضحاً ، وربما واسعاً ، وربما سريعاً.

حسناً .. لتكن هذه المحـــاضرة نموذجاً على ما أذكره . وما دام موضوع المحاضرة هو " الفتاة المصرية وقضية الدين " ، فالمتوقع أن يلزم أصحاب الرأي المريح جانب التأكيد ، على أن رفعة شـــأن المرأة وحريتها ، وكرامتها ، وحقوقـــها ، تتحقـــق جميعاً من خلال الألتزام بقيم الدين . وقـــد يجد مثل هذا الكاتب منعطفاً هنا ، أو ثغرة هناك . فيضيف إلى المقولة السابقة تحرزاً ذكياً فحواه " بشـــرط فهم الدين فهماً صحيحاً " . ولا بأس من أستخدام لغتنا العربية بما تحمله من قدرة على خداع الألفاظ ، وتطويع بل وأحـــياناً تلويع الكلمات ، لعكس المعنى وخلاف الحقيقة .

هنا يستريح الكاتب أو المحاضر ، ويستريح القاريء أو المستمع. وهنا يجد في مواجهة أي قيد لفظاً براقاً أو مصطلحاً جذاباً . فإذا كان حجاب المرأة واجباً دينياً ، فلا بأس من وصف المرأة بـــأنها " الدرة المكنونة " ، " والجوهرة المصونة " . وعليها أن تظل مُكننة في ثوب لا يحف ولا يشف ، ولا يكشف ولا يصف ، طالما أنها درة . ومطلوب منها أن تظل مصونة خلف النقاب أو الطرحـــة ، لأنها جوهرة. وإذا نظرنا إلى عملها على أنه حاجة وليس حقاً. وطالبناها بلزوم المنزل، إن كان زوجها قادراً وذا سعة . فلا بأس أن تُلفت نظرها إلى أنهـــا بـــذلك ســـوف تُصبـــح " ملكة متوجة " . لأن البـــيت هو " مملكتها الصغيرة " . ويالها من حسنة الحظ لأنها سوف تصبح من " ربـــات الخدور " أو " ربات الحجال " . واستطيع أن أســـتطرد في عديد من الأمثلة ، كلها توحي بنفس المعنى ، وتستهدف ذات القـــصد ، وهو

تزييف الفعل باللفظ المعسول ، والخداع عن الواقع بسلاح البلاغة . بيد أن للبلاغة مدى ، ولمعسل اللفظ حــدوداً ، تنتهي عندما يتطرق الأمر إلى أمور واضحة، لا مجال للبس فيها. مثل حظر " الولاية " على المرأة ، أو رفض شهادتها في الحدود أو القــصاص ، أو أعتبــار شهادتها في غير ذلك مساوية لنصف شهادة الرجل . حـيث يدور الرد حول أحد محورين: أولهما يفتح نافذة ضيقة للحوار، حين يُحدثك عن ضعف المرأة ، وأنها مخلوق عاطفي ، وأنه يصيبها من الآلام الشهرية ما يُخفض مرتبتها أو قدراتها عن قــدرات الرجل أو مرتبــته . فإذا جادلت، أحالوك إلى المحور الثاني للرد . وهو محــور يُغلق أمامك الأبواب والنوافذ، حيث تواجه بأنه تقدير الله ، وحكمته ، وحكمه . وهل تعلم أنت ما يعلم ، حتى تحاور في معلوم من الدين بالضرورة ؟. وهل تملك أن ترد لله أمراً أو تأتي ما نهاك عنه ؟ .

وهو محور ذو منهج ، ربما دعاك لإغلاق فمك بيديك ، حــتى لا تند عنك عبارة ، يُساء فهمها ، أوتصدر عنك إشارة يُســاء تأويلها . وسوف يتحدثون معك عن إقــرار الإســلام للمرأة بــالذمة المالية المستقلة، وهي حقيقة ناصعة، وإيجابية لاشك فيها. وسوف يحدثونك عن حكمة أن ميراث المرأة نصف ميراث الرجل ، بحديث ســوف يخطف لبُك ويسعد فؤادك . فهي نِصفٌ محظوظ ، لأن الإنفاق على المرأة مسئولية رجلها . وربما كان أكثر قيمة أو بركة ، من ضعف يُضطر صاحبه إلى الإنفاق منه على مسئولياته، وما أكثرها . وهكذا وهكذا . لا تنتقل من قول مريح ، إلا إلى قــول آخر يُســعدك أكثر

ويُريحك أكثر . ولا بأس من ختام تركن إليه وتهنأ ، حين يُقارن كاتبك المريح ، المستريح ، بين وضع المرأة في الجاهلية ووضعها في الإسلام . وسوف تجد في كثير مما يعرضه عليك ، مُوثقاً أحياناً بآيات الذكر المبين ، وأحياناً ثالثة أخرى بأقوال التابعين ، وأحياناً بأقوال تابعي التابعين ، وأحياناً بأقوال المحدثين . فرقاً هائلاً بين حال وحال .

وقد يخطر على بالك فجأة أنه ما هكذا تكون المقارنة أو تجب ، فمالنا نحن وما للمرأة في الجاهلية. وما أشد أحتياجنا إلى مقارنة وضع المرأة في الإسلام بوضعها في إطار القيم الحضارية . بيد أنك تمسك لسانك ، وتعقل جنانك ، فأين الثرى من الثريا ، أين قانون البشر وأحوال البغاة والخطاة ، من قانون السماء ورحمة الله بالمرأة أو الفتاة ؟.

بيد أنك لن تستطيع مع كاتبك صبراً ، وهو يحدثك عن تضييق الإسلام لمداخل الرق ، وتوسعته لمخارجه . وسوف يفلت منك تعليق مضمونه أن منع الرق لم يحدث بتعاليم القرآن ، ولا بأحكام العقيدة ، بل حدث بتأثير الحضارة، وحرمته مواثيق حقوق الإنسان؟. وسوف يجيبك كاتبك مبتسماً بأن الإسلام في موقفه من الرق كان متقدماً عن غيره من العقائد . وأنا شخصياً أرى أن هذا صحيح . وسوف يستكمل حديثه المنطقي الساحر ، بأن يؤكد لك أن الإسلام قد راعى ظروف العصر عندما نزل ، وعندما كان مستحيلاً أن يمنع الرق مرة واحدة. وأنه لهذا ضيق باب الرق وأوسع باب العتق ، حتى يتم الأمر بالتدريج ، وحتى ينتهي إلى ما أنتهى إليه اليوم . وربما أغراك

شيطانك بالتوقف أمام تلك العبارة العابرة "مراعاة ظروف العصر ". وربما أغراك أكثر بإعادة ترديدها مشفوعة بتساؤل شـيطاني ، عن حكمة عدم مراعاة ظروف عصرنا الحاضر . خاصة ونحن نتحدث عن فروع الفروع ، وقد تغيرت نظرتنا للأشـياء ، وردود فعلنا أمام كثير من الظواهر أو المظاهر . فلا أحسب ولا تحسب أنت أيضاً، أن تعطر المرأة الأجنبية عنك أو المحرمة عليك ، يُثير في نفسك دوافع الرغبة وشيطان المضاجعة . بل أحسبك تراه كما أراه محموداً ، كبديل لرائحة العرق في مناخنا الحر . ولا أحسب ولعلك لا تحسـب ، أن المرأة التي تصل شعرها بـجزء من البـاروكة أو تغطيه لدواعي السرعة بباروكة كاملة ، ترتكب إثماً أو تثير غريزة . ولا أحسـب ولعلك لا تحسب ، أن تجميل الأسنان القبيحـة إثم أو دعوة لخطيئة . ولا أحسب ولعلك لا تحسب ، أن تسوية المرأة لحاجبيها مدعاة لفتنة أو مقدمة لزنا. بيد أنك في هذا وفي غيره، تصطدم بأن هذا كله محله منع وتحريم . وسوف تواجه بأحاديث نبوية موثقة، بأحاديث لابـد وأن تدفعك إلى أسئلة سوف تتداعى سؤالاً وراء سؤال ..

– هل ما سبق كله يدخل ضمن أصول العقيدة أو ضمن فروعها؟.

وسوف تكون الإجابة أنها فروع ..

– هل ورد شيء من هذا في القرآن الكريم ؟.

وسوف تكون الإجابة بالنفي. فكل هذا سنة قولية ، عدا التعطر إذا أوردناه ضمن الزينة، وهو أجتهاد يقابله أجتهاد آخر، بأنه مُنع لضرر الرائحة الكريهة ..

- ألم يُفتِ كثير من الفقهاء بأن سنة الرسـول في الزي والعلاج مُلزمة لعصره ، وليست ملزمة لما يليه من العصور ؟.

والإجابة بالإيجاب .

- ألا يجوز أن نحمّل أقوال الرسـول في هذه الأمور على نفس المحمل ، وأن نقيسها بنفس المقـياس ، خاصة وأن شـيئاً منها في عصرنا لا يُثير فتنة ، ولا يحرك شهوة ، ولا يُشغل في نفوسـنا أي إحساس بالإستنكار أو الفزع أو الإثم أو الخطأ أو الخطيئة ؟.

وهنا لابد أن أنبهك أيها المستمع إلى أنك قد خرجت على كاتبـك المريح ، وودعت إلى غير رجعة منهجه المستريح . وأنتقـلت على حـين غرة إلى موقـع المُزعجين ، وفزعت فأفزعت ، وانزعجت فازعجت . ولأني مثلك مُفزع مُزعج ، يطيب لي أن أحـاورك ، طالما أن الساحة قد أخليت للمنطق ، والمساحة قد أتسعت لإعمال العقل ..

وابدأ فأقول ، إن الأسئلة التي راودتك خطيرة . والأجابـات التي أوردت أخطر . ومثلي يُقدر حسن نواياك ، ورغبتك الجارفة في أن لا يصطدم في عقلك العزيزان (الإسلام والعصر). وأنا مثلك تماماً ، تُؤرقني نفس الرغبـة. غير أني أعيد ترتيب المسـائل على نحـو مختلف ، وأرى أن المشكلة كلها تكمن في نقطة البـدء التي تحـكم منهج التفكير ، وهي التفرقة بين ما هو عام وما هو خاص ..

إن قضية المرأة وحقوقها ، قضية عامة . وأي قضية عامة تقف على مفترق طريقين . ولك في البداية أن تختار بينهما . أما الطريق

الأول فهو الأحتكام إلى ما يسود المجتمع حـــالياً ، وهو مجتمع مدنـي تحكمه القوانين المدنية ، ويســـوده الدســـتور والقـــانون والمواثيق الدولية، وعلى رأسها إعلان حقوق الإنسان . هذا طريق قائم وواقع وســـائد . أما الطريق الثاني فهو الطريق الذي ينتصر له أنصار الدولة الدينية ، وهو واقع يستهدفه هؤلاء الأنصار ، ويرفضون من خلاله واقع المجتمع السائد ، وإطاره المدني المُمثل في الدستور والقـــانون وحقوق الإنسان. ويُعبرون عن هذا الرفض بالأحتكام إلى بديل آخر، وهو القرآن والسنة ومصادر الفقه الأخرى، مثل الإجماع والقـــياس وغيرهما . فإذا أخترت البـــديل الأول ، وهو ما أختاره ، وأدعو إلى أختياره والإصرار عليه ، فإياك أن تتصور أن ذلك يعنـــي رفـــض البديل الثاني . وإنما يعني تأجيله إلى مرحلة لاحقة، وفي إطار أضيق، وهو إطار الخصوصية . حيث تُصبح بعد أختيارك الأول أمام أختيار خاص بك ، يثيبك الله عليه أو يعاقبك . وتقبل منه ما تقبل ، وتفعل من خلاله ما تفعل، وحسابك على الله . أما الأختيار الثاني أو التالي، فهو أن تُحدد موقفك الشخصي ، لا موقف المجتمع ، من قواعد الدين ومثله وقيمه . وهنا تتعدد بك السبل . فقد تقبل هذه القواعد جميعاً ، وتتبعها جميعاً ، وتجمع بين دينك ودنياك ، وحـــياتك الدنيا وآخرتك . وهذا حقك وأختيارك . وقد تقبل الأصول ، وتجتهد في الفروع، وحسابك على الله بقدر أجتهادك ، وبقدر صحة هذا الأجتهاد . وقد تقبـــل ولا تفعل . وقد تفعل ولا تقبل . وقد لا تفعل ولا تقبـــل . وهذا كله أختيار من أختيارات ، وسبيل من سبل . وهو في النهاية موقف خاص بـــك

إلى أقصى حد ، وأختيار شخصي لك بــلا شــك ، ومنهج فردي لا يفرض موقفاً على أحد ، ولا ُتفرض عليه وصاية من أحد ..

ومادمنا قد وصلنا إلى هذه النقطة ، فإن المحاضرة بأكملها تصل إلى طريق مسدود . لأني أدعوك إلى القبــول بــمنهج للتفكير ، ولا أدعوك إلى أختيار أسلوب في التعبير أو الحياة أو السلوك . وإذا وافقت معي على المنهج الــذي توصلت إليــه ، فإن عليك أن توقفنــي إن استطردت في شرح تصوري أو إعلان أجتهادي بشــأن القــضايا التفصيلية. لأني مُسلم معك بأنها خصوصية، وأنها أختيار شخصي. وأنها تلزمني ولا تلزمك . وأنه مادام حسابي على خالقي فيما أجتهد فيه، وأسلكه، فما حاجتي إلى فرضه عليك ولو بالسماع ؟. وما حاجتك، ولك أجتهادك وأختيارك ، وعليك وحدك تحّمل نتائج هذا الأختيار ؟. ولعلك ترى معي ما يؤكد لك مقــولتي في بــدء الحــديث ، من أنها محاضرة مُزعجة بالفعل ، لأنها لا تنتهي بما توقعت مني . فلاشــك أنك أنتظرت مني رأيا في الحجاب ، أو النقــاب ، أو حــق المرأة في العمل ، أو نصيبها من الميراث ، أو تهذيبها بالضرب غير المُبرح ، أو عدم قبول شــهادتها ، أو عدم قبــول ولايتها . ولعلك تضرب كفاً بكف وأنا أحيلك إلى الدستور والقانون وميثاق حقوق الإنسان . ولعلك إن تمعنت قليلاً فسوف تشعر براحة كبرى ، حين تتبع منهجي، فتهرب ممن يفرضون عليك ما لم يُفرض بعد ، وما لا أعتقد أن أحــداً يملك فرضه ، غير ضمير الشخص نفسه ، وغير عقيدته بينه وبين نفسه ،

وبينه وبين خالقه . ولسوف أكرر دائماً على مسامعك ، ولا أملّ من التكرار ، أني أقبل بالدستور والقانون وحقوق الإنسان فقط فيما يتعلق بعلاقتك بالمجتمع . وحسابك في هذا على المجتمع ، وبالدستور والقانون . أما إيمانك وتدينك ، وطاعتك لله وتعبدك ، وقبولك لأوامر الله ونواهيه ، فحسابك في ذلك على الله . ورجاؤنا ألا تلح على أذهاننا أو آذاننا في هذا كثيراً أو قليلاً ، فنحن نقرأ ونبحث ، ونفحص ونمحص ، ونختار في النهاية ما نختار .

يبقى في النهاية تعليق أخير ربما يبعث على الإبتسام . فقد لاحظت وأنا أكتب ، أنني أوجه حديثي إلى الرجل وليس إلى المرأة ، رغم أن الندوة في جمعية تضامن المرأة ، ورغم أن المتوقع هو أن تكون الحاضرات أغلبية. وصدقوني أنه خطأ غير مقصود، ربما كان سببه خوفي من هروب المنطق وتلعثم البيان . وما أكثر ما حدث ذلك أمام امرأة واحدة ، فما بالكن بجمع غفير أثير ..

مجرد سؤال

قصة المقال : فجاة امتلأت صفحات الراي في الصحف ، وبريد القراء المنشور فيها ، بمطالبات مزعجة ، تدعو إلى تطبيق أحـــكام الأعدام علناً ، وفي ميدان عام . مع تلميحات وأشـــارات إلى أن ذلك هو منهج الإسلام . وأن هذا هو التطبـــيق الدقـــيق لتعاليمه . وكان بوسعي أن أصمت كما صمت الجميع ، لولا أن ذلك يُناقض طبعي ، ويتناقض مع ما أعرفه من صحيح الدين ، وما أحترمه من حقـــوق الأنسان . والطريف أن هذا المقال " مجرد سؤال " قد أزعج الكثيرين من أصحاب الميول السادية ، فأنهالوا عليّ باللوم والتعقيب والرفض في بريد القراء مرة أخرى . فكان ردي عليهم ، الذي أعتبره مُكملاً للمقال وعنوانه : قلت ، وأقول مرة أخرى .

المقال : مجرد سؤال *

أمامي مقال يدعو إلى عقاب مرتكب جريمة الأغتصاب بالإعدام، على أن يتم التنفيذ في ميدان عام . .

---

* نشر في جريدة الأهرام ، بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٨٨ .

أما إعدام المغتصب فلا أعتراض عليه . ولا محل للمطالبة به ، لأن القانون الحالي ، والذي يحلو للبعض أن يُسميه بالقانون الوضعي، يصل بعقوبة جريمة هتك العرض (وهي جريمة واسعة وفضفاضة ومطاطة) إلى الإعدام . والجديد هو إضافة المطالبة بالتنفيذ (علناً، وفي ميدان عام) ، تلك المطالبة التي كثيراً ما ترد في بريد القــراء بالصحف، وكثيراً ما تتوارد على ألســنة العامة ، هي التي تدفع إلى التساؤل ..

ما الذي حدث لنا؟. هل أصبحنا شعباً شديد القسوة بهذه الدرجة ؟. إنني لا أتحدث هنا عن جريمة الإغتصاب تحديداً ، وهي جريمة بشعة. لكني أتحدث عن السادية التي تنبعث من هذه المطالبــة (علناً ، وفي ميدان عام) ..

ألا يكفي الحكم بالإعدام ، وألا يكفي العلم بــالتنفيذ .. ألا يكفيان وحدهما للردع ؟. ألم يتصور المطالبــون بــذلك مدى بشــاعة هذا الإجراء (التنفيذ علناً ، وفي ميدان عام) .. وهل يتحمل فرد منا أن يُشاهد كلباً يرجمه بعض الأطفال حتى الموت ، أو قطة يقوم بــعض الصغار بذبحها ؟.

أن الكلام سهل ، وترديد ما يردده الآخرون أســهل ، لكن تبقــى الإنسانية وأحترام المشاعر ، بل والرقي بها دوماً .

أي متعة يُمكن أن تحدث عند مشاهدة جثة رجل أو امرأة معلقــة في حبــل مشنقــة في ميدان؟. وما الذي ينطبــع في ذهن طفل عند

مشاهدة هذا الهول ؟. وكيف تكون مشـــاعره عندما يُصبـــح يافعاً، ويتعرض في تعامله اليومي لما يُمكن أن يتعرض له الجميـــع مـــن غضب وكره وخيانة من الآخرين أو إهانة منهم . ثم يقـــفز إلى ذهنه فجأة هذا المنظر الذي تعود عليه، لجثة معلقة من رقبتها، مدلاة الرأس، تهزها النسمات يمنة ويسرة .. ألا يصبح القتل إلى نفســـه أقــرب ، والقسوة بوجدانه ألصق ، والأنتقام أيسر ؟. مجرد سؤال ..

لقد أهتــزت مشـــاعر المصريين ، وأنهالت مئـــات الخطابات للأحتجاج ، عند نشر صورة الزوجة السويسية (التي قتلت زوجها، وقطعت جثته ووزعتها على صناديق القمامة في أكياس نايلون). أقول فزع المصريون لرؤية صورها وهي موثقة اليدين أمام حبل المشنقة قبل لحـظات من التنفيذ . وكانت دلالة الأحـــتجاج ، أنه لا تزال في قلوب المصريين رحمة ، ولايزال رصيد الإنسانية وأحـــترام الأدمية موجوداً في نفوسهم وفي ضمائرهم ..

إنني شخصياً لا أتحمل أن أرى دجاجة ُتذبـــح أمام عينيّ . وما أكثر ما نهيت أطفالي عن مشـــاهدة ذبـــح خروف العيد ، لأنه منظر مفزع . ولست أتصور أنني مُرهف الحس إلى درجة الشـــذوذ . لأن الدم هو الدم ، والعذاب هو العذاب ، والموت هو الموت . ومـــن لا يَرحم لا يُرحم . وإذا كنا نقتل الحـــيوان أو الطير مضطرين ، فهذا شيء ، والأستمتاع به شيء آخر ..

ربما سألني البعض عن سبب الكتابة في هذا الموضوع، وإجابتي:

ليس لشيء إلا لإزاحـــة عبء نفســـي كان جاثماً على صدري ، وأنزاح بكتابته ..

تعقيب منشور: قلت ، وأقول مرة أخرى *

أتابع التعليقات على مقالي الرافض لعلنية تنفيذ الإعدام في الميادين العامة. وكنت أود عدم المداخلة، خاصة وأن هناك المؤيد والمعارض، الأمر الذي يتيح للقراء فرصة التعرف على وجهتي النظر . لولا أن المؤيدين لعلنية العقوبة، قد ركزوا على تأصيلها فقـــهياً ، وصوروا الأعتراض عليها ، على أنه رفض لحكم قرآني قطعي .

ولهؤلاء أقول ..

أولاً : لم يرد في القرآن الكريم كله ، نص على علنية العقوبة، إلا في آية واحدة خاصة بجلد الزناة (وليس رجمهم). وهي الآية الثانية من سورة النور . وعدا هذه الآية ، خلــت الآيات التـــي نصت على العقوبات الأخرى ، من أية إشـــارة صريحـــة أو ضمنية إلى علنية العقوبة .

ثانياً : ورد نص العلنية المشار إليه في الآية السابقة بالنص التالي [وليشهد عذابهم طائفة من المؤمنين] . وفي التفاسير (يُقصد بطائفة من المؤمنين ، رجل أو رجلان فصاعدا ، لكي يحفظوا الحد) . وفي

---

* نشر في بريد القراء في جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ٢/ ١٩٨٩ ، تعليقاً على خطابين نشـــرا في نفس المكان ينتقدان ما ذكرت، وخطاب واحد يؤيد .

معاجم اللغة ، الطائفة واحد فأكثر أو أثنان فأكثر . وأنظر وتأمل في حكمة الله جل شأنه . ولو شاء لقال " وليشهد عذابــهما المؤمنون " لكنه ضيق برحمته ما لم تتسع بعض القلوب لفهمه وأستيعابــه . ولله في خلقه شئون .

ثالثاً : وحتى لو أجتهد البعض مع النص السابق ، وأفتوا بــعلنية كل العقوبات ومنها الإعدام ، فإن من يحضرون تنفيذ حــكم الأعدام في بلادنا بحكم وظائفهم ، يزيدون عن عشــرة أفراد ، أي أكثر من خمسة أضعاف أقصى التقدير للحد الأدنى للطائفة . وفي هذا تطبيق والتزام بالنص القرآني .

رابعاً : قلنا ونقول إن رأينا مُنصب على العلنية وليس العقوبــة . وأنه محدد في الرد على المطالبين بالإعدام في الميادين (مع النقــل التليفزيوني ، كذا) . ومن هنا فلا محل للغمز بالحــديث عن " رأفتنا بالمحكوم عليه " لأن الإعدام ذاته عقوبة قاسية لا رأفة فيها ولا شفقة. ولا مجال لأستدراك الخطأ فيها لو حدث .

خامساً : قد يرى البعض أن علنية التنفيذ في عهد الرسول ســنة فعلية واجبة الأتباع . ورأينا في هذا أن علنية العقوبــة كانت ســمة عصر الرسول ، بل سمة عصور قبله وعصور بــعده . وأنه يجوز أن ُتحمل على محمل الزي والعلاج ، وهما بابان من أبــواب الســنة الشريفة ، يرى أغلب الفقهاء أن الرسول قد تأسى فيهما بــعصره . ولا ينصرفان لغيره من العصور . وهذا بالطبع فيما لم يرد فيه نص قرآني قطعي .

سادساً وأخيرا : أردت بتوضيحي هذا أن أؤكد على أن للأجتهاد في الإسلام أبوابا تتسع للرحمة والإسلام دينها ، وللإنسانية والإسلام راعيها ، ولحقوق الإنســـان والإسلام حارسها . ولأن تنفيـــذ الإعدام بصورته الحالية لا يُخالف نصاً قرآنياً . وأن التركيز على الرحـــمة في الإسلام ، أقرب إلى روحه من ألتماس القسوة، وأيسر تناولا وأقرب سبيلاً . أما من أستمتع بفصل الرقـــاب وقـــطع الأيدي ، وصفق مع المصفقين ، وهتف في طرب مع الهاتفين ، فقد أضاف إلى معلوماتي جديداً . فقـــد كنت أتصور أن قصد العلانية هـــو الردع ، وفاتني أن البعض يقصدون المتعة . وجل من لايسهو .

ملحق رقم (١)

نص رسالة شيخ الأزهر للأستاذ فهمي هويدي والمنشورة في جريدة الأهرام بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٨٨ .

رسالة من شيخ الأزهر

الأستاذ فهمي هويدي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فقد أطلعت على ما كتبت على مدى أسابيع ثلاثة تحت عناوين "حديث الإفك " و " الإسلام السياحي " و "ثرثرة مُريبة في الدين" ، ولقد سرني وأثلج صدري محتوى هذه المقالات ، سلمت وسلم قلمك..

وني لأتساءل معك يا أخي : من الذي يُسلط أمثال هؤلاء على الإسلام والمسلمين ؟. ولحساب من يعملون ؟. ومن الذي يُمكنهم من هذه المساحات في بعض الصحف، ينشرون عن طريقها تلك السموم التي توجه إلى أبناء مصر بخاصة، وإلى شعوب الأمة الإسلامية بعامة ؟.

إذ أنها متى أخذت موقعها في مصر الأزهر ، رائدة المسلمين وأملهم ، أصبحت حرية بأن تكون موضع النظر والأسى والأسف في غيرها من الدول الإسلامية تحت هذه العناوين السوء .

تُرى من وراء هذا المخطط الذي تبنته بعض الصحف والمجلات في مصر ، وهذه المطبوعات التي تظهر بين الحين ، والحين لتصد عن سبيل الله .. ولتصرف الناس كل الناس عن طلب الأستقامة وتصحيح المسار ؟.

إنهم بهذا المخطط يُناهضون طلب الإصلاح بالإسلام .. وهو الأصلح للحياة .

تُرى هل يجوز في عرف العقلاء أن نكافح جراثيم الأمراض والأوبئة ، ونترك تجار أوبئة الفكر ومروجي أحاديث الإفك يضلون الناس ، ويشغلونهم عن القضايا الجادة في حياتهم ، ويحاولون زعزعة عقيدة الإسلام في قلوب أهله – وما هم ببالغي ذلك بإذن الله: [يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون] .. كل ذلك بأسم الحرية التي أساءوا فهمها وأستعمالها .

يا أخي : لست في مقام مناقشة بعض هذه الكتب من إنتاج هذه الفئة التي استمرأت سكوت العلماء والكتاب عن تعقب إفكها وفضح مخططاتها . وإنما أردت أن أشد على يدك .. وأدعو كل ذي قلم منصف أن يقول كلمة حق .. وأن يُبريء ساحة الإسلام – وهي

بريئة بحمد الله – من هذا الإفك .

إنني أدعو الكتاب وأصحاب القلم أن يواجهوا في الصحـف كل فكر مفترٍ على الإسلام .. وأن يذبوا عنه وعن المسلمين هذا الذباب الموجه إلى موائدهم الإسلامية ، لتظل بـعيدة عن هذا البـلاء الذي أوشك أن يحل بساحتهم .

إن أولئك الذين يتباهون بأنهم يتحدثون عن الإسلام بهذه المفاهيم الفاسدة، ينبغي أن يواجهوا في كافة الساحات ومن سائر القنوات، فإن معظم النار من مستصغر الشرر .

إن أمن الأمة في حاجة إلى مواجهة جادة لهذا الفكر ، الذي يشيع الفتنة . وذلك واجب أهل العلم وأصحاب القلم ، كما هو مسئولية كل ذي مسئولية في مكافحـة الخروج على النظام ومثيري الشـغب ، والمنتسبين زوراً إلى مالا يُحسنون ، والمضفين على أنفسهم صفات وألقاباً تتجاوز واقعهم ، بل وتصفح عن خبيئة نفوسهم : [ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسـدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين] .

وفقك الله لقول الحق ونشره ، وأثابك وأمدك بروح من عنده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

ملحق رقم (٢) الإفتتاحي

النص (التاريخي) الكامل لمقال الاستاذ مصطفى كامل مراد رئيس حزب الأحرار بجريدة الأحرار بتاريخ ٧ يوليو ١٩٨٦

رأي المعارضة

كنز قارون !! وهل يبحثون !!

قال تعالى في كتابه الكريم في سورة القصص آية ٦٧ " إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولى القوة " .. إلى آخر الأية .. ثم قال تعالى في نفس السورة (آية ٨١) " فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين " .

والمتمعن في هاتين الآيتين الكريمتين يتضح له أن قارون كان من أثرياء مصر، وكان من قوم موسى، أي أنه كان يهودياً. ولكنه لم يكن من المؤمنين بموسى عليه السلام، ولكنه كان ممالئا لفرعون، شأن بعض الأثرياء حينما يمالئون أو ينافقون السلطان، طمعاً في زيدة ثرواتهم وخوفاً من بطشه . ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد

وصفه بأنه بغي، أي طغى واعتدى على أهله من اليهود. وأوضح الله سبحانه وتعالى أن قارون كان واسع الثراء ، حــتى إن مجموعة من الرجال الأقوياء كانت تحمل بصعوبة مفاتيح كنوزه . والعصبة كما نعلم تتراوح بين سبعة وعشرة رجال. والرجل القوي عادة يحمل ما يقرب من مائة كيلو ، أي أن وزن مفاتيح الكنوز يصل إلى ما يقــرب من طن . فما هو يا ترى حجم الكنوز إذن ؟.

لاشك أنها كنوز كبيرة ضخمة ، حتى أن الله سبحانه وتعالى وصفها هذا الوصف ، الرائع الدقــيق في كتابــه الكريم . وأن الله سبحـــانه وتعالى قد خسف به وبداره الأرض، عقاباً له على طغيانه وكفره. أي أن قارون وداره ، وما تحمل من كنوز ، قد هبطت في الأرض . لأن المعروف في ذلك الزمان أن الأثرياء كانوا يحتفظون بــكنوزهم في دورهم ، والذهب والفضة والمجوهرات معروف أنها لا تبــلى ولا تتآكل بمضي الزمن ، وهذا يعني أن كنوز قارون مستقرة في مكانها في حطام داره في باطن الأرض على وجه اليقين . وأنها كنوز ضخمة كبيرة ، حتى أن الله تعالى وصفها هذا الوصف المُحــكم في قــرآنه الكريم ، الذي نؤمن به ويؤمن به كل المسلمين في مشــارق الأرض ومغاربها ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من عزيز حكيم ..

والذي أهدف إليه من هذا المقال هو أن أسترعي نظر الحــكومة إلى ما يأتي :

أولا: أن يقوم بعض الأساتذة والعلماء من المصريين المتخصصين في التـــاريخ المصري القديم ، لمعرفة من الفرعون الطـــاغية الذي عاصره موسى عليه السلام ؟. ودعاه إلى الإيمان بالله فأبـــى . لأن قارون الواسع الثراء كان يهودياً من أهل موســـى ، وكان معاصراً لذلك الفرعون ، وممالئا له ضد موسى عليه السلام ودعوته الحق . وأن يحاولوا معرفة المكان الذي كان يعيش فيه قارون ، وهل هو في مكان بحيرة قارون الحالية ، أم هو في مكان آخر ؟. وأغلب الظن أنه كان يعيش في الفيوم ، أي في المنطقة التي تقع فيها بحيرة قـــارون . وأغلب الظن أيضاً أنها سُميت باسمه . وقـــد يكون ظناً أن بحـــيرة قارون قد ظهرت نتيجة لهذا الخسف، الذي فعله الله تعالى بدار قارون. هذا ما نطلبه من الحكومة ، ومن المؤرخين المصريين ، وغيرهم من المتخصصين في التاريخ المصري القديم .

ثانياً : أن تطلب الحكومة من علماء الجيولوجيا ، أي علم طبقات الأرض أن يبحثوا عن التركيب الجيولوجي لمنطقة بحيرة قـــارون. فقد يكن ذلك الكنز الكبير على بعد أمتار من قاع البحيرة ، كما حدث في أسطول نابليون الذي تم أكتشافه أخيراً .

ثالثاً : أن يقوم د. عبد الهادي قنديل وزير البترول، بتكليف بعض الشركات المتخصصة ، للبحث والتنقيب وأستخدام الأجهزة العلمية الحديثة للأستشعار عن بعد ، والأقمار الصناعية ، للبحث في بحيرة قارون وما جاورها . لعل وعسى أن نجد هذا الكنز العظيم الذي ورد

في كتاب الله الكريم، فيصبح حدثاً تاريخياً يهز الدنيا من أقصاها إلى أقصاها. ويكون فاتحة خير على البلاد لفك ضائقتها الأقتصادية [1] ..

بقيت بعد ذلك نقطة قد تُثار من اليهود (وإسرائيل) حـول هذا الكنز، ومطالبتهم بالتحكيم في شأنه ، على أعتبار أن قارون كان يهودياً بنص القرآن الكريم ، لأنه كان من أهل موسى عليه السلام. فإن حدث هذا، ولاشك أنه سيحدث إن وجد الكنز ، فإننا نقبل التحكيم فوراً . وحجتنا في ذلك دامغة قاطعة ، كما هو الحال في طابا [2] !! .. التي فيها يمترون وهي ..

١- إن قارون وإن كان يهودياً ديانة ، إلا أنه مصري بحكم جنسيته.

٢- إن الكنز إن وجد في أرض مصر ، فهو ملك لمصر طبقاً للقانون الدولي .

٣- وإذا فرضنا أن إسرائيل جادلت في الحقوق الثابتة كعادتها، فإن رجال البنوك يقولون أن مصاريف حفظ الذهب والمعادن الثمينة والمجوهرات ، تبلغ واحداً في الألف سنوياً . فإذا كان عمر الكنز ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة تقريباً، فمعنى هذا أن مصر من حقها مصاريف حفظ تبلغ ثلاث مرات ونصف قيمة الكنز [3] !!!.

---

(١) ياسلام .

(٢) شوف ازاي ..

(٣) يا عيني ..

بقيت كلمة أقولها للحكومة المصرية ، وهي أنه إذا فرض ووجد ذلك الكنز، فلا أقل من أن يكافأ حزب الأحرار بتسليم مقراته السبعة عشر التي أستولى عليها الحزب الوطني، ومازال يجادل ويُماري في تسليمها، برغم وضوح حق حزب الأحرار فيها . فتفك بذلك ضائقة المقرات التي يُعاني منها حزب الاحرار، ويرتفع عدد مقراته من ستة وعشرين مقراً إلى ثلاثة وأربعين مقـراً !!. وهذه هي مسـئولية د. يوسف والي أمين عام الحزب الوطني، خاصة وأن أسمه على أسـم الصديق يوسف عليه السلام ، وهو من الفيوم، أي من منطقة قارون، ولكنه ليس من أهل قارون على وجه اليقين !! .

هذا هو كنز قارون كما ورد في كتاب الله تعالى، فهل يبحثون ؟!!. وهل ينقبون ؟!.

مصطفى كامل مراد

الأحرار ٧ يوليو ١٩٨٦

ملحق رقم (٣)

النص (الطريف) للسؤال عن فرعون موسى ، والإجابة بقلم الشيخ يوسف البدري عضو مجلس الشعب . وقد نشر ذلك في الصفحة الثانية من جريدة النور - باب فتاوى وأحكام - العدد ٢٥٥ بتاريخ ٢٨/ ١/ ١٩٨٧ .

فتاوى واحكام يقدمها - محمد عبد الهادي

اجاب عن اسئلة هذه الحلقة فضيلة الشيخ يوسف البدري

فرعون مصر هو قابوس بن مصعب

قال تعالى : [وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون] من المراد من فراعنة مصر من خلال هذه الآية الكريمة ؟.

عصام الشريف - مأمون

اجا دقهلية

ذكر ابن الأثير في كتاب الكامل في التاريخ ١/ ١٦٩ أن فرعون مصر في أيام موسى عليه السلام هو قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني ثم مات بعد أن نودي موسى ، وتولى مكانه الوليد بن مصعب وكان أعتى من قابوس وأفجر ، وقد تزوج الوليد زوجة أخيه آسية بنت مزاحم .

ومعنى الآية كما ذكر ابن الأثير ..

بعد أن بلغ بنو إسرائيل إلى البحر .. وأيقنوا بالهلاك . تقدم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق ، وصار فيه أثنا عشر طريقاً .. وعبروا حتى خرجوا ، ودنا فرعون وأصحابه من البحر فرأى الماء على هيئته .. فأقتحم حتى إذا هم أول جنده أن يخرج ، وكان قد دخل أخرهم أمر البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم ، فأغرقهم ، وبنو إسرائيل ينظرون إليهم . وأنفرد جبرائيل بفرعون ، يأخذ من حماة البحر فيجعلها في فيه ، وقال حين أدركه الغرق آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، وغرق . فبعث الله إليه ميكائيل يعيره ، فقال له " الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين " .

وقال جبرائيل للنبي صلى الله عليه وسلم : لو رأيتني وأنا أدس من حمأة البحر في فم فرعون ، مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها .

فلما نجا بنو إسرائيل قالوا : إن فرعون لم يغرق، فدعا موسى، فأخرج الله فرعون غريقاً .

ملحق رقم (٤)

رد الأستاذ احمد عبد السلام أحمد
(هيئة إحياء النشاط الإسلامي)
على مقال (تعليق لطيف على بيان سخيف)
الرد منشور في صحيفة الأيام السودانية
بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٨٨

رد على تعقيب الدكتور فودة

الإسلام باق بإرادة الله وجهاد المؤمنين

نشرت صحيفة الأيام الغراء بعددها بـتاريخ ٦/ ٤/ ١٩٨٨ في باب منبر الرأي ، تعقيباً للدكتور فرج علي فودة ، يكتبه من القاهرة ، معقباً على بيان لهيئة علماء السودان. وقد نشر المحرر بجانب المقال تعريفاً لشخصية الكاتب ، فجزى الله المحرر خيراً على ذلك ، فقـد أخرجني من حيرة، لأن كلمة دكتور هي لقب علمي يدل على تخصص في فرع من فروع المعروفة . وأني حين أقرأ مقالاً عن الطاقة مثلاً بتوقيع دكتور فلان، أفهم أنه متخصص في الطاقة ، أو عن الملاريا أعرف أنه متخصص في الملاريا ، وكذلك الكلى ونحو ذلك . حتى أصبحنا نعلم أن دكتور الأنف لا يُقبل رأيه في العيون، مع أنها كلها في الرأس. ولكن مع أعتراف المتخصصين لكل فرد في تخصصه

الذي أفنى فيه جزءاً من عمره، فإن بعض حملة لقب دكتور، بل كثير من المثقفين ، يرفض أن يعترف بأن علوم الدين هي علوم يجب أن يسلّم كل فرع منه لمن تخصص فيه .

بل كثير منهم غره علمه بمعلومات عامة ، أن يتكلم في الإسلام بهواه. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (من تكلم في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) [1] . والدكتور فودة يُنكر علينا في أول تعقيبه أن ننكر عليه الحديث ، لأن الأمر هم سوداني . ونحن لا ننظر هذه النظرة القاصرة ، بل فهمنا كما علمنا الإسلام، أن العلم لا وطن له. كما أن المؤمنين أخوة بينهم التراحم والتناصح .. ولو كتب الدكتور في تخصصه الزراعي، وحدثنا عن أمثلة الطرق للنهضة الزراعية ببلدنا ، أو عن وسائل الري أو نحو ذلك، لشكرنا له ما تبرع به ، مع امتلاء بلدنا والحمد لله بعلماء الزراعة . ولو كان كاتب المقال لديه أدنى علاقة بعلوم الإسلام حسب تخصصه أو بحوثه التي قدمها ، لقبلنا قوله في حدود علمه. ولكن كل ذلك لم يكن. ولعل المقال كان دعاية لحزبه تحت التكوين وتقديماً لبرامجه .. وهو أنه لا يريد أن يحكم الإسلام في أي بلد مسلم، لأن الحكم بالشريعة ليس ركناً من أركان الإسلام. وعليه فهو خصم مُناويء لكل من يدعو إلى ذلك. لقد امتلأ المقال بإساءة للعلماء، وسخر بالقرآن وهو يحسب أنه يسخر بالعلماء :

---

(١) صحة الحديث كما ورد في كتب السنن (من كذب عليّ عامداً متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) .. المؤلف .

وقد نال البابا منه من الأحترام ما لم يجده إخوانه في الإسلام. وسأبين ذلك بردي على بعض الفقرات أو أهمها :

قال الدكتور وهو ينقد عنوان البيان (الإسلام باق وشريعته قائمة وإن كره بابا الفاتيكان) يقول : أما أن الإسلام باق فهذه إرادة الله لا إرادة العلماء . نعم، إرادة قاضية أن يحفظ القرآن، وإرادته قاضية أيضاً أن يُقيم المؤمنون شرع الله ، وأن ينتصروا على كل ما وقف في سبيل إقامة شرع الله . ولكن الله الذي علم ذلك وقضاه ، فرض على رسوله أن يُجاهد ، ولم يسمح له أن يتكل على قضاء الله وقدره بغير عمل وجهاد. وقد بين الله ذلك بقوله (ولو يشاء الله لأنتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) الآية ٤ سورة محمد. وقد حُفظ الإسلام في سلوك الناس وفي آدابهم وأحكامهم ، بفضل جهاد المؤمنين من الصحابة ، فمن بعدهم . ولكن الدكتور فودة يريد من العلماء أن يصمتوا ، حتى يستطيع أن يضل هو وأمثاله البسطاء من المسلمين ، ليكوّن حزبه، ويقيم دولته العلمانية. ولكن العلماء لن يصمتوا لأن الله أمرهم بالكلام ، وبالجهاد ، ولن يرهبهم أحد إن شاء الله . وما كان العلماء يوماً حكاماً ، منذ أنحسر الأستعمار عن بلادنا الإسلامية . ولو تولى العلماء الحكم يوماً، لشهدت عودة الإسلام كما كان في عهد عمر بن عبد العزيز . ولكنهم يكتفون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للحاكم، فمن أستجاب هدى ، ومن أبى فالله حسبه.

ويتساءل الدكتور عن السند من الكتاب والسنة الذي أستند إليه العلماء ليكونوا هيئة العلماء . وكأن السؤال يُفهم أن الدكتور رجل مؤمن يُرجع الحق إذا علم الدليل . وإليك يقول الله تبارك وتعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ١٠٤ آل عمران . وقال تعالى [ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفوس كل فرقه منهم طائفة ليفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون]. فهيئة علماء السودان جماعة من العلماء أجتمعوا ليقوموا بما أمرهم الله به من أمر بمعروف ونهي عن منكر ، وتعليم للناس أمور دينهم وحقائقه، حتى لا يكونوا فريسة للجهل. وأن حملوا الألقاب العلمية في الحشرات والناموس والطاقة الذرية، فكل مطلوب منه أن قوم بدور في الحياة. وقد قاموا بدورهم، ولم يدع أحد منهم أنه وصي على الناس، أو واسطة بين الناس وربهم، كما يدعى من تدافع عنه أو عن أفكاره على الأقل. وإني سائله هل أستند إلى شيء من الدين ، عندما كون حزبه ، وأن يدعو إلى البعد عن توجيهات الله في الحكم والمعاملات ، ويحصر الدين في الصلاة والصوم والإجازة يوم الجمعة وأحتفال الأعياد؟. ماذا يقول لله يوم يلقاه، وقد وقف في صف الذين يصدون عن سبيل الله ؟.

ثم يسخر الدكتور المسكين – وأقولها بحق مشفقاً عليه – لأنه سخر من العلماء ، وسخر من القرآن ، إذ يقول وهو يرد على قول

العلماء وبالإسلام تتحقق البركة في المعاش وبسط الأرزاق ، يقول راداً ذلك وما أجدر من يتاجرون بشعار البركة ، أن يرجعوا البصر في العالم ، فيرتد البصر خاسئاً وهو حسير . حين يرونها تحـل في الولايات المتحدة الأمريكية، وتنزل أهلاً في الأقطار الأوروبـية ، وتمرح سهلاً في أعتى قلاع الشيوعية، بينما نلتمسها نحـن فلا نجدها، ونبحث عنها فتعز علينا ، ونغازلها فتأبى الخ ما قـال من غزل في المتاع المادي الذي يعيشه بعض أهل الكفر، ولم يُحرم منه بـعض أهل الإيمان . فها هو الفرد في السعودية مثلاً يتمتع بكل ما يتمتع به الأوروبي وغيره ، ولكن في حدود ما أذن الله فيه ، مع هناءة نفسـية لا يجدها الأغنيـاء الذين ينهون حياتهم بالأنتحار في أمريكا . وتلك مقارنة تحتاج فلسفتها لمقال أو كتاب ، ولكن أقول للدكتور: ألم تعلم أنك سخرت من القرآن والعياذ بالله ، فالله يقول [ولو أن أهل القرى آمنوا وأتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبـوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون] ٩٦ من سورة الأعراف – ومعنى آمنوا وأتقوا أنهم بعد الإيمان ، نفذوا ما أمرهم الله به من واجبات ، وأنتهوا عما نهاهم عنه من محرمات ، ومن الواجب أن يحكموا شرع الله في كل حياتهم ، فهل تُنكر أن الآية من القرآن لم تكذب وعد الله ؟. أيهما قلت: فقد كفرت . ويقول الله تعالى بنص أوضح لمن لا يُجهد عقله [ولو أن أهل الكتاب آمنوا وأتقـوا لكفرنا عنهم سـيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم] الآية ٦٥ سورة المائدة. وهذا إخبـار عن الجزاء في

الآخرة . أما بركات الدنيا بإقامة حـــكم الله ، فيقـــول عنها [ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقـــهم ومن تحـــت أرجلهم منهم أمة مقـــتصدة وكثير منهم ســـاء ما كانوا يعملون] .

فهل تنكر الآية أم تكذب الوعد ؟. أيهما قلت ، فقد كفرت . وقـــد يقول أحد لم تخلف وعد الله عندما طبق نميري الشريعة ، وهنا أقول مع القائلين ، الصادقـــين الذين يقـــصدون وجه الله ، وليس مع الذين يريدون أن يمنعوا إقامة شرع الله . أقول إن التطبيق لم يكن كاملاً ، ولم يكن صحيحا في بعض الأوقات، وذلك لأن هناك معارضين كان يهمهم أن لا تصح التجربة ، وكانت لهم القدرة بمواقعهم فخربـــوها وأنحرفوا بها. ولكنها الآن ، وبعد أن صارت رغبة غالبـــية الأمة، وتبناها أكثر من حزب ، يهم جماهير مسلمة مع أختلاف الأجتهاد ، فسوف ينجح التطبيق ، لأنه مسنود بجماهير مؤمنة . وفي الختام أقول للدكتور سامحه الله وعفا عنه ، إن ما رأيته بركة وتكريما للكفار من متاع الدنيا ، ليس هو بـــتكريم ، إنما هو إيـــتلاء وفتنة لهم ولضعاف الإيمان . فالله يقول : [فأما الإنسان إذا ما ابتلاه [1] ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقـــول ربـــي أهانن] [2] كلا .

---

(١) وردت في الأصل (إذا ابتلاه) وهو خطأ .. المؤلف .

(٢) وردت في الأصل (أهانني) وهو خطأ .. المؤلف .

(٣) وردت في الأصل (يجعلنا) وهو خطأ .. المؤلف .

ويقول تعالى : [ولولا أن يكون الناس أمة واحــدة لجعلنا [3] لمن يكفر بالرحــمن لبــيوتهم سقــفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم [4] أبوابــا وســررا عليها يتكئون وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين] الآيات ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ من سور الزخرف . هدانا الله وإياك .

(١) وردت في الأصل (لبيوتهم) وهو خطأ .. المؤلف .

فهرست

مؤلفات الدكتور

فرج فودة

تنشرها وتوزعها دار ومطابع المستقبل

بالفجالة والأسكندرية

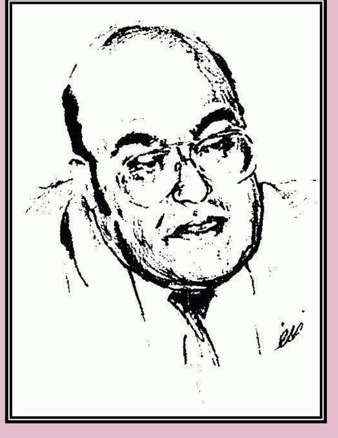
الحقيقة الغائبة	الطريق إلى الهاوية
حوار حول العلمانية	الملعوب
حوار في المهجر	النذير
قبل السقوط	نكون أو لا نكون
زواج المتعة	الطائفية إلى أين ؟
الإرهاب	مع يونان لبيب رزق
شاهد على العصر	وخليل عبد الكريم

رقم الإيداع

٢٠٢٩٦ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي

911. 53 65.71.6



إن أي قضية عامة، تقف على مفترق طريقين. ولها في البداية أن تختار بينهما. أما الطريق الأول، فهو الأحتكام إلى ما يسود المجتمع حالياً. وهو مجتمع مدني، تحكمه القوانين المدنية، ويسوده الدستور والقوانين والمواثيق الدولية، وعلى رأسها اعلان حقوق الإنسان.

أما الطريق الثاني، فهو الطريق الذي ينتصر له أنصار الدولة الدينية، وهو واقع يستهدفه هؤلاء الأنصار، ويرفضون من خلاله واقع المجتمع السائد، واطاره المدني الممثل في الدستور والقانون وحقوق الإنسان. ويعبرون عن هذا الرفض، بالأحتكام إلى بديل آخر، وهو القرآن والسنة، ومصادر الفقه الأخرى، مثل الإجماع والقياس وغيرهما.

دار ومطابع المستقبل بالفجالة والأسكندرية

ومكتبة المعارف ببيروت